# الأعمال الكاملة

# درويش الأسيوطى

## الأعمال الشعرية الكاملة

الجزء الأول

الهيئة العامة لقصور الثقافة

# الأعمال الكاملة
# درويش الأسيوطى

## (الجزء الأول)

وزارة الثقافة



• درويش الأسيوطي
(الجزء الأول)
الهيئة العامة لقصور الثقافة
القاهرة - 2012م
13,5 × 19,5 سم
• تصميم الغلاف: أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية:
حسين جعفر
• رقم الإيداع: ١٤٢٨١/ ٢٠١٢
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالي: 16 أ شارع أمين سامي - قصر العيني
القاهرة - رقم بريدي 11561
ت: 27947891 (داخلي: 180)

• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

# الأعمـال الكاملـة
# درويش الأسيوطى

# أسئلةُ العبدِ ابنِ شدادٍ

## لسادته بني عبس ...

## ذاكـرة ....

القصائدُ تطلقُ لهفتَها في دموعِ البساتينِ
وردًا وعطرًا
وأنشودةً رائقة ...

والتقاويمُ تَكتبُ في صفحةِ العطْرِ
ترنيمةً للفَرَاشِ
وللبهجةِ الرائقة ...

البساتينُ تبسُطُ مرآتَها في دَمِ العطرِ
أفقًا لشدوِ العصافيرِ ،
وللصبيةِ النائمين على مفْرِقِ القَهْرِ حُلْمًا ...
فرغم غروبِ المواعيد ...
يستجمعون الطيوفَ التي تسكنُ اللحظةَ الطارئة ..
الفراشاتُ تعبرُ نهرَ اللهيبِ
فتحترقُ الخفقاتُ الضّعافُ ،
وتستوْثقُ النارُ مِنْ طعمِ أحلامها الدافئة ..

لا الذي أوقدتْهُ المقاديرُ شمعًا
يضيئ لمَنْ أدمنوا السيرَ في لجَّةِ الليلِ دربًا ،
ولا السائرون يديرون أبصارَهم
في وجوهِ الذينَ
ـــ على حدٍّ دهشتنا ـــ
في سريرِ المجاعةِ

يسترضعُونَ المواعيدَ والنّشْوَةَ المرجأة ..
كلُّ شيءٍ يسيرُ كما يرغبُ الجالسونَ على صدرِ هذا الهواء ،
البيوتُ التي تسكنُ الشمسُ
تدخلُ في ظلّها ،
لم تعدْ تُنجبُ الظلَّ ،
والثرثراتُ الرقيقةُ تهجرُ قاعاتها
كي تفرَّ من القيظِ ..
تبحثَ عن فرجةٍ في دمِ العطر
أو حافلاتِ القصائد ،
والفرحةَ المطفأة ..

أيها الشعرُ
ماذا أصابَ الفراشاتِ والعطرَ ..
هل باتَ منتجعُ الروحِ قاعًا؟!!
وباتتْ على شاطئ الروحِ صفصافةُ العمرِ
شاهدَ قبرٍ
يذكِّرُ باللحظةِ الطارئة ...

ربما كان سهلا على الشعرِ
أنْ يبْتَني جبلا من زبرجــدَ ،
أو تلَّةً من حريرٍ ،
ويطلقُ غزلانَهُ في رياضِ التهاويم
ترعى من الكلأ الأنثويِّ
وتشربُ من أعينٍ ملغزة ..
ليس أسهل من نظمِ حباتِ مسكٍ

بناصيةٍ أو بنانٍ
فتصبحَ نهرًا من الزّيفِ
أو شجرًا مستحيلا
على شاطئ المعجزة ..

كان سهلا على الشعرِ أنْ يسكبَ السحرَ
فوقَ قدودِ الصبايا
ويكتنزَ العطرَ للسهرةِ المخمليةِ
والصحبةِ الهادئة ..!!

كان سهلا على الشعرِ ..
أنْ يبتني من عَروضِ القصائدِ سُلّمَهُ للفراغِ
ويُسكنَ في غرفِ التيهِ
تلك التفاعيل والأغنياتِ ..
ويوصدَ كلَّ النوافذِ دون الرياحِ المريبةِ والأسئلة ..

كان سهلا على الشعر ....
لكن أبى القلبُ
أنْ يُدخلَ الشعرَ في الوجهةِ الخاطئة ..
فليس من العدلِ أنْ يصبحَ الشِّعرُ
مستنقعًا للغُموضِ ..
وذاكرةً للتهاويمِ والأوبئة ..

## سيدُ العنعنة

أولُ البحرِ هذا السرابُ
أم الرملُ فاتحةُ الارتحالِ
وبوابةُ الأمكنة ..؟!!

والمواقيتُ مرجأةٌ بانتظارِ انعتاقِك
من ظلمةِ التيهِ ..
قامت على شرفةِ المئذنة
والنوارسُ ــ كُهّانُ هذا العبابِ ــ
لأجلك تقتاتُ خُبزَ التأملِ ...
علّكَ تطلعُ من شرقِ هذا الرحيلِ
فتصطخبُ اللجّةُ الساكنة ...!!

أولُ الشعرِ هذا السرابُ ؟
أم اللغو ؟
أم حيرةُ النورِ في الظلمةِ الداكنة ..؟
لا تسَلْ كيف يستدفئُ الثلجُ بالثلجِ .. !!
تلك أسئلةٌ لا محلَّ لأجوبةٍ تجْتبيها ..
وتُدخِلُها في حدودِ المتاحِ ،
و في اللغةِ الممكنة ..
لُغتي فقدتْ ألباءَ المعاني
وترنيمتي هجرتْ لحنَها
والنقوشُ تأبّتْ على أعينٍ واهنة ..

لستُ أذكرُ أيَّ المواعيدِ أخلفْتُ ..؟!!
فالوقتُ من زئبقٍ والرمالُ ،
عجوزٌ هي الذكرياتُ
تمُرُّ بغُربالِ رأسي فتسقط منها .. !!
فأي المواعيدِ أبقيتُ ،
أي الأحاديثِ تحفظُ يا سيدَ العَنْعَنَة ..؟!!

ليس لي غير هذا الممددِ في خاطري رغبةً
والمؤججِ في داخلي جذوةً ..
والترابِ المبددِ بين الخرائطِ .. والأزمنة
ليس لي
غير عقدٍ منَ الأغنياتِ
وإيقاعِ ترنيمةٍ في جدارٍ قديمٍ ..
فما عدتُ أذكرُ من أغنياتِ الصبابةِ والوجدِ غيرَك
ما عاد في طاقتي ..
أنْ أفكَّ احتباكَ الرموزِ القديمةِ ،
باعدَ جزرُ الزمانِ المخاتلُ بيني وبينك ..
خلَّفني فوق شطٍّ ارتيابيَ
لغةً فقدتْ ذاكرةَ البوحِ والدندنة ..

ليس لي غير ما أبقت الريحُ لي
من يبابِ الأحاديثِ ، والعنعناتِ ..
وفاتحةٍ من كتابٍ تُحنطُ بعضَ الأراجيزِ
أحفظُها ..

لست أذكرُ من أي فجٍ أتتني
ولا كيف نامت بصدري ..؟!!
فصدري يضيقُ بما يتركُ الشعرُ بالرملِ
من مزقٍ محزنة ..!!
أسألُ الريحَ عنّي
فعلَّ الهدايةَ تأتي مع الريحِ
تبتسمُ الأحجياتُ القديمةُ
تصغي إلى اللحظةِ السَّوْسَنَة ..

ربما مرَّ في غسقِ الشّعرِ
مؤْتزرًا بالقصائدِ ،
حيَّاكَ ـ كالعابرين ـ
وراحَ مع اللحظةِ الراهنة ..
هل تراكَ رددتَ التحيةَ بالصمتِ ؟
أم كنتَ تزرعُ وردَ انتظارك
في شُرفةِ الوقت
للقادمينَ على الأحصنة ..؟!!

........................................

لم يعدْ في الطريقِ إلى شُرفةِ الوقتِ خيلٌ
ولا قادمون ،
ولا عادَ من تتهجّى ملامحَهم بالدروبِ
فليس وراءَ الرمالِ الغويَّة ..
غير الرمال ...!!
وما عاد خلْفَ ارتحالك
غيرُ التوَجُّسِ والغربةِ البائنة ..!!

## أسئلة .....

[ ١ ]

يا أبي ...
أيُّها المستقيمُ كما الجرحِ
والمستكينُ كأيامهِ القاحلة ..
لا تصدِّقْ كلامَ الذين تراهم
على الشاشةِ القاتلة ..
كُلُّهم يكذبونَ علينا
يدسُّونَ بالأغنياتِ المُخَدِّرَ ،
في رقصةِ البنْتِ جوعَ الغريزةِ ،
ماءَ الخديعةِ بالنشرةِ الجاهلة ..

كلُّهم يكذبونَ عليكَ ..
وأنتَ تصدقُ ما يفترون ..!!
وتسألُ من يسرقونَ براءةَ طفلتك .. القسمة العادلة .. !!
يا أبي .........!!

[ ٢ ]

أيها الفاتحونَ
الذين أتوْا فوقَ خيلِ المجاعةِ والانكسارِ ،
وفي غفلةٍ من عيونِ الزمن
أيها الراكبون على خيلِ أهوائهم
فوق جثةِ أحلامنا .. والكَفَن ...
أيها الناثرون على جُرحِ أوجاعِنا
ملحَ أطماعِهم .. والفتن ....
أيها البائعون المرايا ،
وبعضَ الزجاج الملونِ ، والترهاتِ ..
بماءِ الوطن .. !!
كم سيبقى بهذي البلادِ النبيلةِ
من فرحةٍ بالصدورِ
ومنْ أغنياتِ الحصادِ
ومن أمسياتِ الشَّجن ..؟!!
كم سيبقى بصدرِ الصبايا
من الحلمِ بالبيت ،
والفارسِ اللايجىءُ على خيلِ أحلامِهنْ
بعدَ أنْ ..
بعدَ أنْ تملأوا كأسَ أفراحِكم
من دَمِ العاطلين ..
ومن دمعةٍ لا تئنْ ..؟!!!

أسيوط ١٩/٢/٢٠٠٦

## وحدها [آمنة]

وحدَها ( آمنة )..
ما تزالُ تؤججُ دفءَ الفِّرَاشِ
برغْبَاتها الكامنة ..

للنسيمِ الذي مرَّ من فرجةِ البابِ
رائحةٌ البحرِ ،
عطرُ الغيابِ ،
وللماءِ بـ[ الزِّير[1]] رغوتُهُ الفاتنة ..

والمساءُ الذي ما يزالُ
يرطِّبُ فاكهةَ الشمسِ فوقَ الحوائطِ
يدخلُ مثلَ النساءِ السوادَ المهيبَ
فتلبسُ كالنسوةِ الليلَ
تسترُ أعطافَها اللينة ..

وحدها تسمعُ الموجَ يدخلُ حجرتَها
في الهزيعِ الأخيرِ من الليلِ،
يأتي مع الطيرِ
حين يحطُّ على شجرِ [السَّروِ ]
بالساحةِ الداكنة ..

---

[1] الزير : وعاء حفظ الماء من الفخار

ويبقى هناك إلى أن تنامَ العيونُ
فيدخلُها خلسةً ..
حين تغفلُ عن بابِها الأزمنة ..

وحدها (آمنة) ..
تسمعُ الموجَ يهمسُ في أذْنِها بالسلامِ
فتسبلُ أجفانها بالحياءِ
وتدخلُ في رعشة واهنة ..

طيفُ ذاك المسافرِ
يغفو على ساعدِ الوقتِ ،
تغفو ، تقولُ لمرآتها :
سوف نصحو على صوتِهِ
حين يدفعُ بالشوقِ بابَ انتظارِكِ
يدلفُ ،
في عمقِ عينيهِ فاكهةُ الوصلِ
والشوقُ للناسِ والزرعِ .. والأمكنة ..

الأهلَّةُ تسكنُ غرفتَها ..
والنجومُ الصغيرةُ تلهو بشبَّاكِها آمنة .
والغناءُ القديمُ عن الشوقِ والغائبينَ
يعودُ يهدهدُ أشواقها الساكنة ..
بينما الناسُ تزعمُ أنَّ الفتى
لم يعدْ يذكرُ الناسَ .. والزرعَ .

قريتُهُ لم تعدْ بالخرائطِ

أو حيثُ تكتَنَزُ الأمكنة .. !!

يُشيعونَ أنَّ الفتى لم يعدْ يذكر الأمسياتِ الخوالي

ولا (آمنة ) ....!!

بينما (آمنة) ..

توَججُ دفءَ الفَّراشِ بأشواقِها الساخنة ..!!!

# قصيدتان

**ندى :**

مصادفةً ...
بمحضِ الصدفةِ العشواءِ لا أكثر ..
رمى الجنديُّ قنبلةً ..
فماتتْ طفلةٌ كانتْ
تُثيرُ مخاوفَ العَسْكر ،
وجيشٍ ظلَّ لا يقهر ..
[ ندى ] ..
كالزهرةِ البريةِ العذراءِ
بل أخطَرْ
فخلفَ خدودِها /التفاحِ ، والعنابِ ، والمرمر
وتحت الضحكةِ السُّكَّرْ ،،
مواعيدٌ مفخخةٌ ..
فإنْ تكبُرْ ..
ستزرعُ قحلَ هذي الأرضِ أطفالا وزيتونا ..
ستصنعُ من مخيّمَها ــ ندى ــ
يومًا فلسطينا ...!!

.....................................

تُرى هل كان حرقُ البيتِ أو أشجارِه العجفاءَ
أو شباكِه الأخضر ..
بمحضِ الصدفةِ العشواء لا أكثر ..؟!!

مصادفةً أحالتْ كلَّ ما بالبيتِ أحطابًا
فخارَ السقفُ ،
ـ لم يتحملِ المنظر ـ
فخرَّ ليدفنَ التفاحَ والعنَّاب والمرمر ..
ليدفنَ تحتَهُ الألعابَ والألوانَ والدفتر ...
يحصِنها ركامُ النسفِ من قصفٍ
يفتِّشُ عن براءتِها
وعن مستقبلٍ مُضْمَر ..!!

**في رام الله :**

في بلادي ..
حاصروا شيخًا مصابًا بالحلولِ/ الفخِّ
والوطنِ /العُلَب ..
حاصروا فيها بساطًا أحمرًا
يمتَدُّ ما بينَ المعابرِ
والبناياتِ المحاطةِ بالحراسةِ والسُحُب .
بينما الصُحْفُ التي تقتاتُ لونَ الليلِ،
والحبرَ/ البنفسجَ ،
واللهب ...
ترْتجي حلاً من الغرفِ الحصينةِ ،
والمسوخِ الجُوفِ ،
والقممِ اللُّعَب ..
حيث تشتعلُ الدسائسُ
من دماءِ الوقتِ ،

أو نفطِ العَرَب ...

.....................................

لكنِ الصبيةَ بالأحجارِ

والموتِ المُفَخَّخِ ..

أوقفوا تشريفةَ استقبالِ صُنَّاعِ المساخرِ

والشَّغَب ...

.....................................

بانَ في وجهِ القاياداتِ المحاصرةِ الغَضَب ..

فإلاما كلُّ هذا الموتِ ..

والصمتِ/ التعفُّنِ .. والخطب ؟!!

# موسمٌ للشِّعْرِ

قالتْ ــ مخالفةً عهودَ الصمتِ ــ
: هذا موسمٌ للشِّعْرِ
واختزنتْ نهايةَ لحنَهَا الغيبيَّ
لم تطلقْ عصافيرَ الكلام ...
قامتْ ، ولم تكملْ نبوءتَها ،
لهذا .. بِتُّ مرتجفًا
أراقبُ مطلعَ الأفلاكِ ،
أستجْلي المواسمَ ،
علَّها تأتي ــ كما قالتْ ــ بفاتحةِ القصيدةِ
أو يجلِّيها الغمام ...

لا شيءَ يدخلُنا إذا جفَّتْ ينابيعُ الرؤى
لا شيءَ يسكنني
إذا ارتعشَ الغناء ..!!
هي لم تزلْ تُعطي لهذا الليلِ
ذاكرةً ، وتاريخًا ، وخارطةً ،
وتأويلاً لأحلامِ المساء ..

وأنا ــ ككلِّ السالكينَ ــ أمُرُّ مُرْتعبًا
على حدِّ الصراطِ إلى مباهجِها ،
وأسألُها :
متى يا جدةَ الأشجانِ تمطرُنا القصائدُ

بالمباهجِ .. والغناء ؟!!
هي وحدها جلستْ على بابِ الفُتونِ
تُهدهدُ الليلَ المؤرَّقَ كيْ ينام ..
فرشتْ لهُ ريشَ الحكاياتِ العجيبةَ ،
والمواويلَ البهيجةَ ،
والسلام ...
لا النخلُ يحفظُ لحنَها الغيبيَّ في دمِهِ
ولا يصغي لهُ سربُ الحمام ..!!

وأناأطوِّفُ بالمنازلِ صارخًا :
يا قومُ ..
هذا موسمٌ للشعرِ
فاستمعوا لما تشدو العصافيرُ/ القصائدُ ..
ما تمزَّقَ من رداءِ الودِّ ما بينَ القبائلِ
لا ترتِّقُهُ الدماءُ ..
ولا يجدِّدُهُ الخصام ..!!

## إنَّهُ الماء ....

إنه الماءُ ..
مختزنُ الحلمِ والقَصَصِ المستحيلِ
وفاتحةُ الوصلِ بين الجهاتِ المبدَّدَةِ العابسة ..

إنَّهُ الماءُ
والبحرُ مفتتحُ الماءِ للطهرِ والبوحِ ،
تدخلُ بوابَةَ العالمِ العبقريِّ من الحلمِ
أفراسُهُ الدَّاهسة ..

ربما مرَّ في ذلك الشطِّ
يحملُ فرشاتَهُ شاعرٌ
جاء يبحثُ عن فرجةٍ في دَمِ الماءِ ،
عن فرصةٍ بالشطوطِ
ليرسمَ معشوقةً مائسة ..

ربما جاءَ يحملُ مشكاتَهُ كاهنٌ
كان يبحثُ عن ربِّهِ
في الشطوطِ التي تحرسُ الماءَ
والخضرةِ الزاهدة ..

فإذني يا عروسَ الشواطئِ لي بالدخولِ
وهاكِ يدي ..!!

فخُذي طفلَكِ الغضّ للماءِ ،
كي تمسحي عن عيونِ البراءةِ
زُبْدَ التخوّف ،
عشبَ الطفولةِ ، والنظرةَ اليائسة .

الجنوبيُّ يا جارةَ الماءِ
يخشى مقاربةَ البحْرِ ..
رغم المشيبِ
ورغم الوقوفِ على اليابسة ..
بينما البحرُ يدخلُهُ عنوةً ..
في دماءِ الأهازيجِ ،
في القصصِ المستحيلِ ،
وفي الريحِ ، والمطرِ الموسميِّ ،
وخارطةِ المدرسة..

مُذْ تفرّقَ دربُ الحياةِ بأبناءِ آدمَ ..
والكوابيسُ تأخذُهم واحدًا واحدا
واحدةً واحدة ..
إنّهُ الذّعرُ يفتحُ بابَ التوَجسِ بالصدرِ
كي تَخرجَ الحربُ من منبعِ الخوفِ
يحْملها الماءُ في السُّفنِ الحاقدة ..

سُفُنُ الحربِ عمياءُ ..
لا تبصرُ الغائصين إلى القاعِ ..
ولا النارَ في القمحِ ،

ولا تبصرُ الشجرَ/ الشهداءَ ..
ولا تبصرُ المدنَ الهامدة ..
بينما البحرُ بالزّبَدِ العاطفيِّ
يطهِّرُ مائدةَ الحربِ ،
يبكي الشطوطَ التي تأكلُ النارُ
والأسطحَ الساجدة ..

إنّه الماءُ
يغسلُ رملَ الشطوطِ ،
يطهرُها من دمِ الشِّرْكِ ،
يرشدُ سربَ المصلينَ للقِبْلةِ الواحدة ..

من هنا عبرَ الأنبياءُ
وساروا على الماءِ
يُعطونَ كلَّ الشطوطِ البشاراتِ ،
والأمنَ ، والكتبَ الخالدة ..

إنها مصرُ
مفتتحُ الانتسابِ إلى الماءِ والطينِ
مُدْخلُهُ للحضارةِ ،
مشرقُ فجرِ الضميرِ ،
وآياتُهُ المُرْشدة ..

النوارسُ تعزفُ للماءِ قصتَها ،
والمسلاتُ تكتبُها،

والشعوبُ تهجتْ تواريخَها الماجدة ..
إنها اليوم تعطي لهذا الوجودِ المواثيقَ
بالحُبِّ والسلمِ،
تستشهدُ الشعرَ والماءَ ..
والزرقةَ الشاهدة ...!!

## نيرانٌ صديقة ..

### شكراً :

شكرًا لمبعوثِ العنايةِ
قدْ مضى [ صَدّاُم ] ..!!
وتبدّلتْ بطغاتِها
وحفاتِها الأيامُ ..
هذي ربوعُ [الرافدين ]
تفتقتْ في أرضِها الأوهامُ والألغامُ ..
وتغيرتْ سننُ الحياةِ
فعمَّها ــ بعدَ الظلامِ ــ النارُ والإشراقُ ..
لا فرقَ بين الناسِ في أقواتِهم
وتقاربَ العلماءُ والسُرّاقُ ..!!
ولكلِّ شيءٍ لا يباعُ ، ولا يُعارُ ، تفتحتْ
بلْ راجت الأسواقُ ..
ما عادَ ما يُخشى على شيءٍ بها ..!!
ما عادَ في أرضِ العراقِ .. عراقُ ..!!

## قنبلة :

خُذْ فتًى..
وانزعْهُ منْ حضنِ أبيه
واهدم البيتَ على مَنْ عاشَ فيه
واجعل الأرضَ حرامًا
هادمًا أطيافَ حُلمٍ يبْتَنيه
واختلقْ ما شئتَ من زورٍ من الأسبابِ
إنْ لمْ تستطعْ ..
فاتهمْ ظَنَّ أخيه
تهمةُ الإسلامِ والإرهابِ تُنهي المسألة
لم تعُدْ عندكَ أدنى مشكلة ..
هكذا صنعْتَ أنتَ .. [ القُنْبُلَة ] ..!!

## حقيقة :

هو وحدهُ ..
ربُّ التحقُقِ والحقيقة
هو وحده
يُعطي البياناتِ الأكاذيبَ الدقيقة
هو وحده
يُعني بأمْرِ المارقين ،
بمحورِ الأشرارِ ،
بالتهمِ اللصيقة

هو وحدهُ

من يَعْتَني بالسارقين ..

وجندُهُ في حفظِ ربِّ الجندِ

يحفظُهم من الإرهابِ والمِلَلِ العتيقة

........................................

فإذا أصيبَ الجندُ بالنيرانِ

فالنيرانُ [ نيرانٌ صديقة ] ..!!

## ربما السنة القابلة

أنتِ ما زلْتِ فاتحةً للخصوبةِ والفَيْضِ ..
تمتلئينَ بيوتًا ،
وصمتًا ، ونخلا ،
وناسًا ، وطينا ...!!
وطيرًا يُدَجِّنُهُ الحَبُ
والظلُّ والنسمةُ الجائلة ..

أنتِ ما زلتِ تحتضنين بنيكِ ،
وجوعَكِ ،
والأغنياتِ الجميلةَ،
والصبرَ ..
لا يستفزُّكِ من غادروا للبعيدِ البعيد ..
ولا من تخنْدَقَ بالصَّبْرِ والحاجةِ الماثلة ..!!

فكلٌّ بنوكِ ،
ولا فرقَ بين الذي بعثرتْهُ الطموحاتُ
في مُدنِ الغائبين ..
ومَنْ أقعدَتْهُ المقاديرُ،
سيّان ،
يأتونَ في موكبِ الشوقِ في العيدِ ..
يستنشقون عبيرَ التواريخِ ..
بين البيوتِ العتيقةِ والأسطحِ المائلة ..

لا النخيلُ الذي أدمنَ الصمتَ
يرقصُ للعائدين مع الفجرِ بالشاحناتِ
ولا انْتَحَبَ السيسبانُ على إثْرِ مَنْ غادروا للبعيدِ ..
وللغربةِ القاتلة ..

أنتِ ما زلتِ أنتِ ..
ببسمتِك اللغزِ ،
تعطينَ مَنْ بكَّروا للصلاةِ ندى الفجرِ
ظلَّ الظهيرةِ للكادحين ،
وللعاشقينَ المساء ..
ولي عبقَ الحلمِ ،
مسبحةَ الأغنياتِ ،
وخيطَ الأساطيرِ
في قسمةٍ عادلة ..

ربما لم أعدْ ذلك الطفل
لكنَّني ما أزالُ أحاولُ
ـ مثل الصغارِ ـ
الوصولَ إلى تُوتِ ثَغْرِكِ
عنَّابَ خدِّكِ ،
فاكهةَ الدّفءِ في قَصَصِ الأمَّهاتِ
ولكنْ ..
تلازمُني خيبةٌ مخجلة..

ربما لم تعدْ بالنوافذِ
تلك البدورِ التي سهَّدتْنا ّ !!
وكنَّا أذا أشرقَتْ بالمغيبِ
اكتشفنا مكانَ القلوبِ
بدقاتِها العاجلة
ربما ضيَّعَ الساهرون إلى الفجرِ
مسبحةَ الأغنيات،
وخيطَ الأساطيرِ ، واللحظةَ الذاهلة

ربما قَوَّضَ السيْلُ والنزَقَ الحضَريَّ
كثيرًا من الحلمِ والذكريات
ولكن ..
تظلِّين بالقلبِ رائحةً من ودادٍ قديمٍ
وأغنيةً من زمانٍ جميلٍ ..
وحلماً يُراودُنا بالإيابِ ..
غدًا .. ؟!!
ربما ...!!
وربما السنةَ القابلة .

## حديث الدم ...

حدَّثتْني جوامحُ خيلِ المساءِ
عن الصبْحِ حينَ يبصبْصُ ،
عن لغةِ القصفِ ،
والنسفِ إذ يتنفسُ ،
عن لحظةِ الفصلِ ما بينَ زلزلةِ الرُّوحِ
والهَدْأةِ الساكنة ..

قالتْ :
[ هو الدَّمُ منْسَكنُا الأزليُّ ..
لا شيءَ يُعطي الترابَ الهُويّةَ غيرُ الدماء
ولا يَطْلُعُ الفجرُ إلاَّ على دَرَجِ الظُّلْمَةِ الداكنة .. ]

على مذبحِ الأرضِ نُهْرِقُ مسكَ المشيئةِ .
في البدءِ كانت لنا الأرضُ ..
والدَّمُ
واللحظةُ الكائنة..

أبشروا – أيها الواقفونَ على سُدَّةِ المستحيلِ –
بفجرِ المواقيتِ ..
هذا أوانُ انتصارِ الدماءِ
على اللحظةِ الشائنة ..
إنَّ موعدَنا الصبْحُ

علَّ الصباحُ قريبٌ ..

وعندئذٍ ..

تفرحُ الأمَّةُ المؤمنة ....

## أسئلة الأفيون

لا الليلُ سامرني ..
فأذهبَ جفْوتي
حين اتخذتُ نجومَهُ صَحْبًا
ولا اتسعَ الفضاء ...!!

لا الشمسُ حين يهزُّها وجعي ،
تبيتُ على مداخلِ حلمِنا ألقًا ،
ولا فجرُ المسافةِ ــ في صياحِ الدِّيك ــ
أيقظَهُ البكاء ..
وأنا على حدِّ الخُرافةِ صامتًا أقْتُاتُ مسغبَتي
وأُمعنُ في الرجاء

لا النهرُ جفَّ ،
ولا الشواطئُ أجْدَبَتْ ..
مازال ــ في ظنِّ الشطوطِ ــ الشعرُ
مشتبكًا بأطيافِ المساء ..
ما زال في صدرِ العصافيرِ / القصائدِ
ما يُبشِّرُ بالربيعِ .. وبالغناءِ
لكنَّ أسئلتي تَمورُ على شِفاهِ قصيدتي
وتصيرُ كلُّ إجابةٍ عنْها هُرَاء
فلتسألوا عمّن يدسُّ الصمتَ
في صدرِ العصافيرِ النبيلةِ
كي يُحنِّطَها السكوت

ولتسألوا : من أنبتَ [الأفيونَ ] في رئتي
وأطلقَ جنَّ هَلْوستي
بأوردةِ البيوت ؟!!

ولتسألوا: من يحرسُ الأفيونَ ؟!!
من بالمالِ يغتصبُ الفضيلةَ والرشاد ؟
لا قمحَ بالأجرانِ ترجوهُ النساءُ (١) ولا طحين ،
كلُّ الصوامعِ فضَّها الجوعُ المُدبَّرُ (٢)
كيف ترتجلُ النساءُ لنا العجين ؟!

ولتسألوا :
من أطفأ الأطفالَ في ليلاتِ قريتِنَا
فأقفرتِ السماء ..
من خَلَّفَ [ النَّاصوبَ ] منصوبًا (٣)
ولم يُجْدِ النداء :
[ يا مَغْرَفَةْ يامْ إيد حديدْ
لِمِّي الْعِيالْ مِنْ ع الْوَقيدْ ] (٤)
من أدخلَ الأطفالَ جناتٍ من [الخُشْخَاشِ ] (٥)
والصمتِ البليد ..؟!!

(١) الأجران : جمع جرن وهو مكان تخزين ودرس القمح أو القح المخزن .
(٢) الصوامع : جمع صومعة . وهو بناء طيني عادة لتخزين الغلال
(٣) الناصوب : قالب من الطين يستخدم في أكثر من لعبة شعبية لتدريب الصغار على التصويب
(٤) أغنية شعبية تحض الأطفال على التجمع في ساحة اللعب
(٥) الخشخاش : النبات المعروف الذي يستخرج منه الأفيون

المفسدونَ على شطوطِ الرُّوحِ
يقْتَحِمونَ أوْردتي
ويجْتَرحونَ منْ دمِنا المزيد ..!!
هم يكتبونَ صكوكَهُمْ بدَمي الذي صارَ الرصيد
هم يزرعون بصدْرِ قريتِنَا التَّوَجُّسَ
والكآبةَ والعناء ...
هم خدَّروا الأحلامَ في ليلِ الصغارِ الأنقياء
أترى ستحلمُ طفلتي بِغَـدٍ
وأحلامُ البراءةِ في ضميرِ الصمتِ
غيَّبَها الجنودُ الأغبياء ؟!

هم يزرعون على مفارقِ صحْوتي [ قَاتَــا ]
من الأشعارِ ، والخطبِ الكذوبةِ ،
والبياناتِ /الرياء .
ودماءُ صبيتِنا الصغارِ
تُبَاعُ بالتبغِ المُولَّفِ
والقراطيسِ الرخيصةِ (٦)
والبطالةِ .. والبغاء

لا النهرُ جفَّ ، ولا الشواطئُأجْدبَتْ ..
ما زال نهرُالنيلِ يُغدقُ في العطاء
لكنَّهم لم يكتفوا، شَرَهُ الفسادِ بلا انتهاء

---

(٦) القراطيس :جمع قرطاس . ويطلق في الشارع المصري على لفافة مخروطيــة تحتــوي على جرام واحد من المخدر الرخيص [ البانجو]

لم يكتفوا بطعامِ طفلتِنا الصغيرةِ
بالعرائسِ والغناء
لم يكتفوا بدِثَارِ جَدَّتِنا العجوزِ
وبالحكاياتِ القديمةِ ، والدواء ..
هم دائما عطشى
وفي نسْغِ [ النُّخَيْلَةِ ] (٧)
ما تبقَّى في قُرانا من دماء .

(٧) النخيلة : قرية في صعيد مصر راجت بها زراعة الأفيون في السنوات الأخيرة من القرن العشرين .

## أسميتها موطنا

في صباحِ الوجودِ البعيدِ ..
وحيثُ الزمانُ سُدى
سقطتْ قطرةٌ من ندى
بين نهرٍ يجيءُ من الخُلدِ والأُولَياتِ
وصخرٍ تلبَّسَهُ الصمتُ ،
فامتدَّ حتى حدودِ المشيئةِ والمُبْتدا

قطرةٌ من ندى ..
حين لامسها الزعفرانُ البهيُّ
تبدَتْ سهولاً وبيدا
ورملاً .. وطينا
فأسميتُها موطنًا .. وأسميتُها مَوْلدا ..

ليس صفصافُها وحدهُ
من أقامَ الصلاةَ بمحرابِها
واهتَدى
فالقلوبُ استجابتْ لترتيلةِ الانْتشاءِ
وشقشقةِ الروحِ ،
دقَّ الفؤادُ على بابِها مُنْشِدا

ربما ظنَّ من ضَيَّعوا ـــ فيّ زحامِ المطَاراتِ ـــ
بوَصْلَةَ القلبِ

أنَّ البلادَ خُطوطٌ بخارطةٍ بالحقائبِ
تَبَهتْ حين يسيلُ الغيابُ
وحين يُوَلِّى المدى مُبْعِدا ..
البلادُ التقاءُ الحياةِ .. بفاتحةِ الرملِ ،
بالطمي والماءِ إذْ أزْبَدا ..
البلادُ عجينُ البراءةِ خالطَهُ الشوقُ
فاخْتَمَرَ الطينُ
صارَ الترابُ صبايا
وعشبًا ،
ونخلاً ،
ونعناعةً ، مسجدا
البلادُ التي يسكنُ القلبَ صفصافُها
ما تزالُ تُطوِّحُ عشّاقَها نشوةً ..
حين ترقُلُ في حُلَّةِ الحُسْنِ عُشبًا ،
وحين تُبَدِّلُهُ عسْجَدا ..

## عروس الماء

[ أقول لكم :

إنه إن سكت هؤلاء .. فالحجارةُ تصرخ .. ]

منسوبٌ للسيد المسيح عليه السلام

يا عروسَ الماءِ في شطِّ الغيوبِ المستباحة
يا تراتيلَ النَّوَارسِ
في عيونِ الموجِ
تستَدْني اجْتياحَه ..

أيٌّ طيرٍ من شتَاتٍ حَطَّ في صدرِكِ
كيْ يطْوي جناحَه
أبيضَ الريشِ مُحنَّى ،
لوَّنَ الزهرُ جراحَه
خضبتْ في ليلِ حِنَّاءِ العروسِ البكْرِ
كعْبين .. وراحَة ..

أسْبلي جفنيْكِ يا رايةَ عشقِ الأرضِ
باسمةَ الشِّفاه
وخُذي في مركبِ الأحداقِ
حلمَ القلبِ ،
والعمرَ وأحلامَ صباه ..

غَسّلي في بحْرِ عينيْكِ المدى بالطُهْرِ حُبًّا
وامنحي الأرضَ الحياة

أسبلي جفنيك حلمًا

واحملي بالقلبِ زهره

قلبُها البكرُ ـــ حياءً ـــ

ذابَ في خديْك حُمْرَة

وابذُري بالأرضِ أطفالاً ..

وزيتونًا .. وخُضْرَة ..

ونشيدًا في فَمِ الدُّنيا يُغنِّي لبلادي

ـــ من شطوطِ البحرِ للنهرِ ـــ

يرشُّ الأرضَ ثُوّارًا .. وثورة ..

# غُبارُ الأكاذيب

إلى: الشهداء .. العراق .. وصبري البياتي
وإلى عبد الرزاق المطلبي وفاروق سلوم

(١) [ أسئلةُ الغبار] :

غبارٌ يطيرُ
يحطُّ على جانبِ الروحِ
حين تُسرِّبُ دبابةُ الغاصبين
أكاذيبَها في دمي ..
وتزرعُ في أعينِ الصامتينَ
مَزيدًا من الخوفِ والانْكفاءِ
فلا الفجرُ توقظُهُ الطائراتُ
ولا شاحناتُ الذخيرةِ تحملُ خُبْزا
ولا تستطيعُ الصواريخُ أنْ تُسقطَ الماءُ
من غيمةٍ ماحلةِ ..

صرخةُ الهاربين من الموتِ للموتِ
تُفْزِعُ خَيلَ القصيدِ ،
فهل أُغْلقُ القلبَ كيْ لا تغيبَ الحروفُ ،
وتبيضَّ عينُ القصيدِ من الحُزنِ
وكي لا تشيخَ قصائدُنا اليافعة

غبارٌ يطيرُ ..
ويَنسجُ أُحبُولَةً للنجومِ
فيبقى [ مُظفَّرُ ]
يسألُ عن [ بصرةٍ ] لا تجيءُ إلى البحرِ
والبحرُ في غربةٍ ــ ما يزال ــ
يُضلُّ شواطئَهُ الضائعة ..

لستُ أعرفُ كيف يجيءُ الغبارُ إلى الشِّعرِ
رغم المسافةِ والهُوّةِ الشاسعة ؟!!
وكيف يُضَبِّبُ شعرٌ ــ كشعري ــ شديدُ البياض
ويقتلُ ثلجُ الحيادِ
أحاسيسَهُ الرائعة ..؟!!

ليس هذا أوانُ انتسابِكَ للصمتِ
هذا غبارُ الأكاذيبِ يدْهمُنا
والأكاذيبُ تدخلُنا في حليبِ الصباحِ
وفي صحفِ الثأرِ ،
في نَشْرةِ التاسعة

لستُ أعلمُ إنْ كنتَ ما زلتَ حيًّا
أم أنَّك فضَّلتَ موتَكَ
قبل اقتحامِ الجنازيرِ سَرْدَكَ
في باحةِ الذاكرة ..

قد تكون هناك .. بعيداً
تُرتِّبُ ذاكرةَ النَّخْلِ ، تنفضُ عنها غُبارَ الأكاذيبِ
والحيرةَ الجائرة ..
ربما ترغبُ الآن أنْ تدخلَ السوقَ
أو شارعَ [المتنبي]
وتبتاعَ زهرًا لـ [ ميسون ]
إذْ تبلغُ العاشرة
بيدَ أنَّ المسافةَ ما بين نافذةِ البيتِ والسوقِ
باتتْ مُفَخّخَةَ بالشراكِ .. وبالموتِ
والهمةِ الخائرة ..

إنَّني لا أصدِّقُ هذا الغبارَ ..
فهل صدَّقَ الناسُ أنَّكَ
صرتَ الضحيةَ .. والقنبلة ..؟!!

الغزاةُ يشيعون أنَّ الصغارَ الذين يموتون فوقَ الأسِرَّةِ
تحت السقوفِ المهدَّمةِ المائلة
شراكٌ مفخخةٌ قاتلة .. !!
فهلا ترجلت عن الصمت ..
كي تفضح المهزلة

[ ٢] [ الغبار ] :
كان [رامبو] يتيهُ بترسانةِ الأسلحة..
يمُوِّهُ أشياءهُ العسكريةَ بالزهرِ .. والزهوِ
يطلقُ صيحاتَهُ الهادرة ..

وتحت غطاءِ المدافعِ والراجماتِ
يباغتُ جلستَنا في المساءِ
يصادرُ شاشتَنا الساهرة ..
كان مبتسمًا
وهو يُلقي على السهرةِ القنبلة ..!!

كان مستمتعًا حين تسقطُ فوقي ...
فينسكبُ الأرجوانُ البديعُ ،
وينهار شيءٌ ، ويصرخ شيءٌ ..
فيرتجّ بالنشوةِ الغامرة ..
وترتجّ أنتَ ..
وقد حولوا طفلةَ العاشرة
نثارًا من الدَّمِ والطينِ
والخوفِ .. والأسئلة ..!!

هل تراهُ يصدِّقُ ذاك [المارينزُ] الشجاعُ
بأنَّكَ صلّيتَ من أجلهِ قبلَ نومكَ ،
وأحببْتَ أعداءَك الغاصبينَ
كما في الكتابِ ،
وباركتَ من لعنوا جدَّك البربريَّ ..
وأمَّتَكَ السَّافلة ..!!؟

ليس هذا أوانُ انتسابكَ للصمت
هذا أوانُكَ للجهرِ بالكُرْهِ
والعبرةِ الماثلة

قُلْ لهم :
انظروا كيفَ يحترقُ النخلُ
مُدَّرِّعًا بالوقوفِ
وكيف يجذِّرُ بالأرض
فاتحةً لابتداءاتهِ المقبلة ..

(٣) [ حاشية الأسئلة ]

أيُّها الأطفالُ ..
من منكم سيأخذُني إلى قصرِ الرشيد
إني قرأتُ عن الخلافةِ .. والفتوحِ
عن المغاني والوفود.. !!
وقرأتُ عن [ بغدادَ ]
مُذْ لبستْ قميصَ الشِّعْرِ
فافترشتْ مداخلَ رغبةٍ
باتتْ تسافرُ بالوَريد
وسنابكُ الخيلِ الضَّوامرِ
ضابحاتٌ بالمدى ..
وممالكُ الدنيا تميد ..!!

هل ما يزالُ [ الموصليُّ ]
يغازلُ الأفلاكَ
باللحنِ المُجنَّحِ والفريد .. !!؟
وللمَسةِ الأوتارِ زلزلةٌ ..
فترتعشُ الحنايا .. والقُدود ..!!

هل ما يزال [ أبو نُوَاسٍ ]
ـ قربَ دِجلةَ ـ
يستبيحُ مفاتنَ اللغةِ اللعوبِ
ويحتسي خَمْرَ القصيد ..

(٤) [ متن الإجابة ] :

وقفَ الصغارُ بعُري دهشتِهِمْ
وما امتلكوا سوى الصمتِ /الجليد ..
ألقوا إجابتَهم
بوجهِ جنونِ أسئلتي عن الزمنِ السعيد
قالوا :
ـ وما خجلوا ـ
لكَ العمرُ المديد ..
لم يبقَ من تلك الممالكِ غيرُ أطلالٍ
و [ هارونُ الرشيد ]
يمتَدُّ في صدرِ المدينةِ شارعًا ..!!
زرعوا على جنْبيه تذكارًا من الأشلاءِ دامية
وحاصرَهُ الجنود ..!!

## أسئلةُ العبدِ ابنِ شدادٍ لسادتِهِ بني عبْس ..

بني عبْس
يا سادةَ العالمينَ ، خيارَ العرب
ويا أيُّها القاعدون
على صدرِ عرشِ القبيلةِ
ـ منذُ قيامِ العروشِ ـ
وحاشا لمَنْ كان مثلِيَ أنْ يَتَقَصَّى السَّبَب ..

لكم وحدكم هذه الأرضُ ،
ما تحملُ الأرضُ ،
أنهارُها والجبالُ ،
لكم وحدكم .. نفطُها والذهب ..

لكم وحدكم تُخْرِجُ الأرضُ أثقالَها
وما قالَ أمثالُنا ما لَها
وتُسْقَوْنَ من ضِرْعِها دَمَنَا المُحْتَلَب ..

ونحنُ لنا الفخْرُ أنَّا عبيدُ بني عبْس
حين تجيءُ الشعوبُ بأنسابها ،
أو تَدلُّ الملوكُ بألقابها ،
أو تتيهُ القبائلُ بالفتحِ والانتصار ..!!
لكم ـ كلُّ من شاءَ فخرًا بآبائهِ ـ يَنْتَسِب ..

بني عبس ..
ياسادةَ العالمينَ ، خيار العرب ..
أنا لا أفكرُ ــ لا سَمَحَ اللهُ ــ
في أيِّ شأنٍ يخُصُّ القبيلةَ ..!!
ما كنتُ منْ سادةِ القومِ
بلْ منْ رِعاعِ الرَّعيَّةِ
ــ دونَ الرعيةِ ــ لا أستطيبُ الخُطَب ..
إذا أذِنَ ــ الصامتونَ عن الحقِّ
والسَّابلون الجفون على الخزْي
والصائنون لسانَ البلاغة
عن شجْبِ ما يستحقُّ الغَضَب ــ
أُديرُ لسانا ــ يسبحُ بالحمدِ والشكرِ
لا يعتريهِ التعب ــ
ببعضِ سؤالٍ يُعذِّبُني
حينَ يمْرُقُ بالصدرِ ــ ياسادتي ــ
جمرةً من لَهَب
تنادون ويحكَ يا عبدُ .. جرِّدْ حُسامَ انتسابِكَ
هيَّا ..
تصدَّى لمَنْ جاءِ يهتِكُ عِرْضَ القبيلةِ
يُسْبي النساءَ
ويجعلُنا سُبَّةً للحِقَب ..!!

فأي عروضٌ ؟ وأي سبايا ؟
ومالي ومالِ الديار الغريبة .. ؟
فهل للعبيدِ عروضٌ تُصانُ لديكم ؟

وهل صانَ مولاي [ شدَّادُ ] عرضَ [ الزبيبة ]
وعن أي شيءٍ أجرِّدُ سيفي ..؟
ومن أجلِ ماذا .. يكونُ الغضب ؟
أنا ليس لي بينكم غيرُ رِقِّي ..
فعن أيِّ شيءٍ أموتُ دفاعًا
وقد أزمعَ الوارثونَ الهَرَب ؟!!

لماذا تنادونني الآن كِرْ ؟
ومن كنتُ حتى أخوضُ الحروبَ ؟!!
تخوضُ الحروبَ البهاليلُ منكم
فهل كان عنترةُ العبدُ
غيرَ غلامٍ لـــ [شدادَ ]
إنْ شاءَ أبقاهُ خلْفَ الشِّياهِ يَصُرُّ ويَحْلِبُ
أو باعهُ كبعيرٍ حقيرٍ
بعيرٍ أصيبَ ببعضِ الجَرَب ؟!!

لماذا تلومون عنترةَ العبدَ
حين تطيشُ بكم سبُلُ الحادثاتِ
ويعجزُ مَنْ أدمنوا خَوَرَ اللّهوِ
عن حملِ سيفِ القبيلةِ
في وجهِ مَنْ يغْــتَصِب ..؟!!
تريدُونَني أنْ أكِر ؟!!
كيف أكِرُّ ولستُ بِحُر ؟!
إذن
كسِّروا القيْدَ عن كلِّ قلبٍ مُحِبٍ

دعوا القلبَ يعشقُ من شاءَ

لو كان [ عَبْلة ]

وفكوا القيودَ عن الشّعرِ

يختارُ للشدْوِ ما شاءَ

صعبَ القريضِ وسهْلَه ..

وفكوا القيودَ عن العَرْشِ

لا تُجْلِسوا فوقَ عرشِ القبيلةِ مَنْ ليسَ أهله

وقتها

يثبت السيفُ في كفٍّ حُرٍ

يرى للقبيلةِ معنى ،

وللأرضِ معنى ،

وللعرضِ معنى ،

يرى للحياةِ الكريمةِ معنى ،

وللموتِ دونَ الديارِ السَّبَب ..

## وردنا ... أم دمك ؟

وردُنا .. أم دمِك ؟
ذلك العبقُ القرمزيُّ الذي أخْجلَ الأُقحوانَ
وطرَّزَ ثلْجَ الملاءاتِ بالزهْوِ
في فجرِنا المُنْتَهَك ..
وردنا .. أم دمِك ؟!!

وهاتان عيناكِ ؟!!
أم نجمتانِ ..
تطلانِ بالفجرِ والتمتماتِ النديَّة
في ليلِنا المُحتَبِك ؟!!

وأيَّ المواويلِ أطلقَها من سُباتِ الملاجئ صمتُكِ ؟
أي الشموسِ
بغمازةِ الخَدِّ ضَاعَتْ على العُشْبِ
تفضحُ سوْءاتنا ..
حين صارتْ دماكِ شهودًا على صمتِنا المُؤْتَفِك ؟!!

البوارجُ في شاطئ الموتِ
تطلقُ داناتِ أحقادِها ..
والقنابلُ تعْبُرُ ــ دون جوازالسفر ــ
من الشاطئ الأطلسيِّ

إلى الشاطئ المُستَبَاحِ
وتدخلُ شرفتَنا بالسَّحَر ..

فكيف عَفَوْتِ على ساعدِ القَصْفِ
في حِضنِ دميتِك المرْيَمِيَّةِ
لا تدركينَ متى جاءَكِ الموتُ
من أين جاء ؟
ولا كيف جاء ..
وكيف مضى الكونُ
ـ يا طفلتي ـ
كيف دارَ ..
وكيف المداراتُ لم ترتبكْ ..؟
وردُنا .. أم دمكِ ؟!!

أسيوط ـ يوليو ٢٠٠٦

# إنَّ الشعرَ ستارُ..

إلى روح الشاعر الراحل شوقي أبو ناجي

أرحْ جوادَكَ .. لا تاجٌ ولا غارُ
ما عـادَ يذكُرُ ما قُـلناهُ سُمَّارُ
وما وعى الرملُ ما خَطَّتْ أناملُنا
من القريضِ ، وما غَنَّتْهُ أطْيَارُ
أرحْ جوادَكَ ، قد كَلَّتْ قوائمُنا
وما يزالُ أمامَ المُهْرِ مشوارُ
وما تزال بنهرِ العيْنِ أدمُعُها
وما تزالُ بعمقِ الروحِ أشعارُ
وما يزالُ بسمعي لحنُ قافيةٍ
كأنها في ظلامِ الليلِ أقمارٌ ..!!

ياصاحبَ الدرْبِ هذا كلُّ ما كَنَزَتْ
لنا السنونُ : كراريسُ .. وأحبارُ
تلك الكراريس كانت للحياةِ جَنَىً
تلك الكراريس .. أيامٌ .. وأعْمارُ
هذا السوادُ الذي خُطَّتْ بِهِ ، دمُنا
وما ثَوى في ضميرِ الشعرِ أسرارُ
نبيتُ نشدو ، ودمعُ العينِ مُنْسكبٌ
ويسترُ الشعرُ ، إنَّ الشعرَ ستَّارُ
وكم تغنيتَ للأصحابِ تُضحكُهُم
وفي الضلوعِ وراءَ الضِّحْكةِ النَّارُ

وتنتقي من بهيجِ اللفظِ مبتسمًا

وفي الجوانحِ زلزالٌ .. وإعصارُ

يفجر الضحكُ فيهم ــ حين تكشفُهُم

أمامَ أعينِهِم ــ صدقٌ ، وإنكارُ

وكنتَ تدركُ أنَّ الموتَ يطلُبُنا

وأننا فوق ظهرِ الأرضِ خُطَّارُ

فرحت تنسجُ بُرْدًا عَزَّ ناسجُهُ

زهَتْ بِهِ من رياضِ الدينِ أزهارُ

وعشتَ تدفعُ عن حوضِ الشريعةِ مَنْ

أزلَّهُ الطيشُ ، أو أغراهُ مَنْ جاروا

حتى ترجلتَ عن مهرِ الحياةِ و ما

على ثيابِكَ ــ رغم الجهْدِ ــ آثارُ ..

في ذمةِ اللهِ يا شوْقي ، ويجمعُنا

في جنةِ الخُلدِ تَوابٌ .. وغفّارُ ..!!

أسيوط ــ فبراير ٢٠٠٦

## اعتذار

يأشرفَ الخَلْقِ والأخْلاقِ أعْــتــذِرُ
عما أساءوا بِهِ ، والقلبُ مُنْكَسِرُ
ويعلمُ اللهُ أنّي ذائبٌ خجلاً
فكيف أحيا وقد أزْرَتْ بِكَ الصُّوَرُ
وكيف أصبرُ والأنحاءُ ترْجُمُنا
بحملةِ الإفكِ ، والأُفَّاكُ قد فجروا

حريةَ الرأي قالوا ، تلكَ حُجَّتُهُم
في ظلِّها تُهتَكُ الأدْيانُ والزُّبُرُ
ودينُنا السمحُ يأبى أنْ نبادلَهُم
بمثلِ ما فعلَ السُّفَهاءُ وابْتَكروا
عيسى بن مريم عندي سيدٌ ورِعٌ
وأمُّهُ الطهرُ لم يمْسَسْ بها بَشَرُ
محمدُ الرحمةُ المهداة يأمرُنا
ألا نجاوزَ ، إنْ زاغوا وإنْ مكروا
فكيف تصمتُ ــ رغم الفحْشِ ــ ألْسنةٌ
كأن حشْوَ فَــمِ الحريةِ الحَجَرُ
وكيف نُحْني رؤوسًا طالما رُفِعَتْ
بساحةِ الحقِّ لم تعبأْ بمن ضَجِروا
وأعلنتْ أنَّكَ المبعوثُ خاتمةً
لرسلِ ربِّكَ ، قد شهدتْ لكَ السُّوَرُ

يا سيدي يا رسولَ اللهِ معذرةً
غُلّتْ يداي ، فلا سهمٌ ولا وتَرُ
وقد بُلينا بقومٍ فوقنا قَعَدوا
وأخرسَ القاعدينَ الخوفُ والحَذَرُ ..
خافوا الطواغيتَ — دون اللهِ — واستَتَروا
عن العيونِ ، فما قاموا ، ولا نفروا
تجاهلوا كلَّ ما يجري بساحتِنا
كأنهم — سيدي — ما عندهم خبرُ
ولست أملكُ غيرَ الشعرِ ، أقذفُهُ
في وجهِ مَنْ بالأذى يا سيدي جهروا
والشعرُ ما الشعرُ إلا نفثة كشفت
عن الحريقِ الذي بالقلبِ يستَعِرْ
كلُّ القصائدِ لا تُخْفي مَعَرَّتَنا
ولا تُوَارى أذى سوءاتِنا السُتُرُ
يا شعرُ .. يا شعرُ .. قد باتَتْ تُعذِّبُني
منك الحروفُ ، كأن حروفَكَ الإبَرُ

أسيوط — فبراير ٢٠٠٦

## أيها الغريب

إلى الصديق محمد أبو الفضل بدران

قلبي لديكَ أيُّها الغريب
فأنت لا تحتاجُ غيره بغُرْبَتِك
فكلُّ ماتراهُ فارغًا
وكل من تعيشُ بينهم
دُمى بلا قلوب ..

يا أيها الغريب عُدْ ..
فقد حملتَ في يديْكَ حينما خرجتَ
بذرةَ العطش
وربما قرأتَ آيةَ الهروب ..
فهل لديك الآن
غير بئرِك المليءِ بالرمال
وهل لديك غير دلوكَ المليءِ بالثقوب ؟
فكل ماتراهُ في الرحيلِ فارغًا
وكل من تعيش بينهم دمى
بلا قلوب ..

يا أيها المسافر الوحيد ..
فتشْ حقائبَ الرحيل
فهل كنزتَ غيرَ وحدتَك ؟!!
وهل حملتَ غير رملِكَ القتيل

وثلجِك المجلَّدِ الثقيل ؟

هنا نعيشُ ربما بلا نقودِ
ونلعنُ الغلاءَ
والأحزابَ .. والقيودِ ..
ويحلمُ الشبابُ بامتلاكِ شقَّةٍ
بزوجةٍ
وواحدٍ من العقودِ ..
وربما نحسُّ في الشتاءِ فقرَنا
لكننا نحس دفءَ من نحبُّ
حينما نروحُ بالطريقِ .. أو نعود .

أسيوط ــ مارس ــ ٢٠٠٦

## أغنية لفيروز

لفيروزِ ..
سيدةِ العطرِ ..
قامتْ تغنّي المواقيتُ ..
فاتحةَ الشّدْوِ ،
خاتمةَ الياسمين ،
وتتلو من السحرِ ما قد تَيَسَّرْ ..!!

لفيروزِ
تحتشدُ القُبَّراتُ
وتبتسمُ الأنجمُ العاشقات ،
ويرقصُ خصرُ السهولِ المُزَنَّرْ .. !!

تغني المواقيتُ شاردةً في سماءِ المواويلِ
فصلاً من الضوءِ
نافذةً من [قَرَنْفُلِ ]
غيطانَ [زعْتر] ..
فأيّ العطور تسرِّبُهُ القدسُ
حين تناديهِ [ يا قدسُ ]
من أين يأتي الغناءُ المُطهَّر .. ؟

تجيءُ على صهْوةِ الأمسياتِ
فيملأ أعينَنَا ألقُ الارْتواءِ ..

فلا خمرُها الأزليُّ يَصدَّعُ عنْهُ ..
ولا القلبُ ــ رغم المواجدِ ــ يسْكَرْ

وفيروزُ إذْ تُدخِلُ الصدرَ
عطرُ الفراديسِ
تفتحُ بابًا إلى طهرِها المريميِّ
وشاطئ كوثر ..

تعانقُنا حين تدخلُنا كالرُّؤى
من شقوقِ المواجعِ
مثل اشتياقِ المحبين تَخْطُر
تصبُّ لنا قهوةَ الصبْح ،
شايَ المساءِ ،
فتغدو الفناجينُ مسْكًا وعَنْبَر ..
وتُعطي لمن أدمنوا [ سكنَ الليلِ ]
خارطةً للشروقِ البهي..
وأقمارَ فُلٍ مُنوَّر

ترى كيف بات المُحبُّونَ في سالفِ الأمسيات بِلاها ؟
بلا قمرٍ أوغناء وسُكَّر ؟
وكيف تحمَّلَ عُشَّاقُ ذاك الزمانِ المُعذَّبِ
لفحَ الغرامِ
إذا ما الغرامُ بغصنِ القلوبِ النديَّة أزْهَر ؟!!

أسيوط ــ ديسمبر ٢٠٠٦

## مراودة

ألا أيها الشعرُ الذي كان سلوتي
ومرتعَ أحلامي وفخْرَ تفرُّدي

نزفتْ دموعَ العينِ حُزنًا وحسرةً
وليت دموع العينِ تُبْذَلُ بالبدِ

وأصبحتُ لا أدري ــ وقد جفَّ مَدْمعي ــ
بأي مدادٍ أكتبُ الشعر سيدي

حنانيك يا ماءَ القلوبِ أما ترى
فؤادي لا يقْوى .. برغم تمردي

تراود قلبًا كنتُ أغْلقُ بابَهُ
أمام طيوفٍ منك تمسي ، وتغتدي

أذكِّرُهُ ــ إنْ رقَّ للشعرِ ــ حرقةً
ــ تَقلَّبَ فيها ، ما لها من مُبَرِّدِ

لقد بتُ أخشى أنْ تجيءَ وليس لي
خلافك حِضنٌ .. في جليدِ تجلّدي

تسائلُني بوحًا وفي البوحِ حرقةٌ
ولحنُك منْجاتي ، وبحرُك مُنْجدي

وكلُّ الذي يطويهِ بالصدرِ خافقي
لظىً يحرقُ الأنفاسَ ، يُشْعِلُ مَرْقدي

ولكنني أُدْني إليك سريرتي
وأهتكُ أسراري ، وقدسَ توحُّدي

حنانيكَ .. من أي المواجعِ جِئتَني
وعن أيِّ جرحٍ يا ترى أنتَ مُنشدي

مواجعُ قلبي لا تُعَدُّ فصولُها ، وكُثْرٌ جراحاتي ، وقد قلَّ عُوَّدي !!

فهذي بلاد المسلمين فريسةٌ لخسةِ مأجورٍ ، وهجمةِ مُعْتدِ ..

وصارت دماءُ المسلمين رخيصةً تُراقُ على مُكْثٍ بكفٍّ مُبَددِ

وبات كتابُ الله خلفَ ظهورنا وأقعدَنا خوفٌ ، فيا لمحمدِ

فلا الرمحُ في وجهِ المغيرين هَـزَّةٌ جريءٌ ، ولا غنَّى صليلُ المهَنَّدِ

فأين خيولُ الفتْحِ ؟ أين صهيلُها؟ وأين سيوفُ الفتح يا سيفَ [ خالدٍ ]

فليت القلوبُ الغُلْفُ ــ حين تهزّها مواجدُ قلبي ــ تَستَبينُ وتهتدي ..!!

أسيوط ــ يناير ــ ٢٠٠٧

## أسئلةُ المبتلى

هو الوقتُ فاتحةٌ للمتاهاتِ ..
ذاكرةٌ من غرابيلَ ،
والأمنياتُ رمال

هو الوقتُ
يوشك أنْ يسبقَ العابرين على الدربِ
أُوشِكُ أن أسأل [ السيْسبان] العليلَ
عن الوقتِ ،
والراحلينِ ، وعمّا يُقال ...!!
وكنتُ مع العابرين
أفتِّشُ عن خبرٍ مستحيلٍ
وبابٍ إلى مُدنِ الاحتمال
لغتي موطني
والغناءُ الهُويّة
والحلمُ بوابةُ الارتحال

وكنتُ على مفْرِقِ الوقتِ فردًا
أخِبُّ على صَهْوَةِ الشِّعرِ
مُدَّثِّرًا بالمواعيد
مُزَمِّلاً بالسؤال ..
هو الوقتُ يدخلُني بالمتاهة
أوشكُ أنْ أسأل الناسَ عنهم

ولكن تهيبتُ ،
لا الوقتُ يحفلُ بالعابرين
ولا العابرون أداروا إليَّ صدورَ الجمال

مضى الوقتُ
والعابرون مضوا صامتين ..
وظلَّ السؤالُ يقشِّرُهُ الصمتُ ..
ظلَّ الجوابُ المحال ..
محالاً .. عَصِيَّ المنال ..

ربما رقَّ لي شجرُ [السيسبان] العليل
فأوحى إليَّ :
تحسسْ فؤادَك ..
تحسستُ علَّ الفؤادُ يعيدُ إليَّ الرشادا ..
وعلَّ الزمانُ البخيلُ
يعيدُ إليَّ البلادَ/ البلادا
تلمستُ خارطةَ القلب
أعمى تلمَّسَ في فرْوَةِ الليلِ .. ليلاً .. سوادا ..

ألا أيُّها الليلُ
يا حِضنَ من أدمنوا الشوقَ للغائبين
ويا سكنَ المُبْتلى بالمحبةِ
أين الذين أتيتُ أبادلَهم
بالودادِ الودادا .. ؟!!

يقول لي الليلُ

يا الْمُبْتلى بالمحبةِ

كلُّ الأحبةِ غابوا

وماخلفوا غيرنا ...!!

غادروا

بعدما زرعوا بالقلوبِ محبَّتَهم

ومضوا ..

خلَّفوا بالعيونِ/ العيونِ السهادا ..

أسيوط ـــ ٢٠٠٧/٤/٣

## بنيتي.. [ وسام ] ...

بُنَيَّتي
[ وِسَام ] ..
الطفلةُ التي كانت على يدَي
بِعُرِيها تنام
وشاطرتْ قصائدي القعودَ والوقوعَ والقيام
الطفلةُ التي يا طالما أرضعتُها
الحروفَ ،
والغناءَ والكلام
لم تعدْ [ وسام] ...!!!

صارت جميلةً
تَتيهُ حينما يلْمسُ النسيمُ شَعرَها
وحين يُطلعُ المساءُ بالحجابِ بدرَها
يرجفُ السكونُ إنْ تمر
وحينما تلُوحُ ..
يخجلُ الظلام
وسام في العشرين
لم تَعُدْ وسام
صارتْ سحابةً غامضةً
تمرُّ في قصائدي ندى
يُحيِّرُ الأشعارَ .. والأفهام

أسيوط ــ يوليو ــ ٢٠٠٧

## في حضرة سيدة الصفو

درويشُك يا سيدةَ الصفوِ أنا ..
ومريدُك
مُذْ أوقفتُ العمرَ على عينيكِ
ابْيَضَّ الشعرُ برأسي ـ وأنا بعدُ فتـــيً ـ
أنهكني السِّرُّ ، ولازمني أرقُ النُّسَّاك ..

مُذْ فارقتُ الأهلَ
صحبتُكِ في كل دروبِ السُّلَّاكِ إليكِ
فما أنِسَتْ روحي بسواكِ
ما ضلَّ الخطو إليك
وما أغوتْهُ تخومُ الفتنةِ
وما ردَّتْهُ الأشواك ..

درويشُك يا سيدةَ الصفو أنا
بالصبر قطعتُ مسافاتِ الوجعِ
وأسئلةً شائكةً
كانت تمنعُني والعشَّاقُ العطْشى
أنْ نَرِدَ فراتَ صفاك

لا تنزعجي يا سيدتي
عُشَّاقُ الصدفةِ ما ألِفُوا السُّهْدَ

ولا بالصفوِ اتَّصَفوا
ما ابتلتْ راحاتُ وسائدِهم بندى
لكنْ عشاقُكِ .. من ذاقوا .. عرفوا
يا سيدة الحسنِ أنا
صُوفيُّك ،
ووصيفُك
وصفيُّك .
ولأجل رضاكِ خلعتُ ثيابَ الراحةِ
ولبستُ مسوحَ الجهْرِ
وأدمنتُ الشعرَ ..
وصغْتُ من الوجْدِ مَّواجيدَ لظىً ،
ومسابحَ ذكرٍ
كنت أعلِّقُها في جيدِ اللحظة
حين يعانقني شوقي
عطشا
أتخيرُ من أبحرِ نعمائك بحرًا
أنشدهُ
فتعمّقُ فيَّ بحورُ الشعرِ الغُلَّةَ
وتُسعِّرُ فيَّ الغُلَّةُ تَوْقي لبهاك

يا سيدتي
عشاقُ الزورِ كثيرون
لكنَّ العشاقَ /العشاقَ
لهم قلبٌ مجلوٌ بالكشْفِ
وعلى مرآة قلوبِهمْ
تتبدَّى بالصفو مواعيدُ الوصلِ

فلا تبتئسي إنْ مَجَّ الفُسَّاقُ
وصُنَّاعُ الأحجبةِ الجُوفُ
وكتَّابُ كراريسِ اللغوِ
تراتيلَ اللغوِ بليلِ سُراك

في حضرة سيدةِ الصفو
أنا بالبابِ أصاولُهم ..
حرفي سيفٌ،
ودمي حِبرٌ ،
وفؤادي بالعتباتِ نَقيب
ويداي تعتِّقُ نفحاتِ الوصل
وتَسقيها كأسًا للعشاقِ /العشاقِ العطْشَى
كي تبْتلَّ قصائدُهم بندى فيضِكِ .. ورضاك .

أسيوط في ٢٠٠٨/٢/٣

## بحرٌ لدرويش الأخير

إلى محمود درويش

بحرٌ لحزنِ قصيدتي
و [ خريفُنا يدنو من الأبوابِ ]
والموتُ المؤجّلُ أولُ الشطآن
للغةِ النَّشيد ..

بحرٌ على رملِ التّوَجّسِ
يبْتَني وطنًا من الرملِ المراوغِ
يجتبي عربًا تقاتلُ بالعصافيرِ الشهيدةِ
لا يهمُّ متى ستسقطُ في فضاءاتِ البلادِ
متى ستدركها الْتباسَات الغناء

ها أنت تعبرُ في أتونِ الصمتِ
من لحنٍ إلى لحنٍ
لتحملَ في فراغِك
شكلَنا العربيَّ
والأملَ البعيد ..
[ يا وردةَ السورِ الطويلِ
ماذا تبقى منك غير قصيدةِ الروحِ المحلّقِ ]
في دُخَانِ قيامتي ؟
خُذْ من نِثارِ عروبتي ريشًا
وحلِّق في قياماتِ القُرَى .. بيدًا وغابة ..
[ أيوبُ ماتَ ، وماتت العنقاءُ
وانصرفَ الصحابة ]

أنتَ انتصرتَ
وما أزالُ أنا على حدِّ التوجسِ
أشتهي لغةً تُعيدُ إلى القرى أطفَالَها
وإلى الدروبِ/الصمتِ ألعابَ العيالِ
قروشَ عيدٍ ..!!

أنت انتصرتَ على الغيابِ ،
وقمتَ
ــ ليس قيامةِ الأموات ــ
بل لملمت ريشَكَ منْ رمادِ الأسرِ
وانطلقتْ حروفُك في فضاءِ الله مئذنةً
وقبةً صخرةً
زيتونةً
كان الترابُ طهورك الأبدي
[ مسراك الوحيد من الحصار إلى الحصار ]

يا أطهرَ الشعراءِ
هل خلفتَ لي حين ارتحالك
جبةَ الدرويش
أم كوفيةَ الفقراء ؟
هذي مواسمُ ثلجِنا الآتي
وأخشى أنْ أمدَّ أصابعي للشعرِ
أنْ تتكسرَ اللغةُ الوليدةُ كالفَخَار

[ نم يا حبيبي ساعةً
لنمرَّ من أحلامك الأولى
إلى عطشِ البحار .. إلى البحارِ ]
[ لحمي على الحيطانِ لحمُك ]
حزنُنا وطنٌ
وآيتُنا الصمودُ
وذلك البحرُ المقاوم

أنت انتصرتَ على المساومةِ الرخيصةِ
لم تبعْ لحمي
لمن جلسوا على العرشِ المساوم
[ لا تذكر الموتى
فقد ماتوا فرادى .. أو عواصم ]
وتذكّر الشعراءَ
من يستولدون النصرَ
من لغةٍ تعودُ ..
ولا تعودُ إلى المعاجم

أسيوط ٢٠٠٨/٨/١

---

ما بين الأقواس من أشعار الشاعر الراحل محمود درويش

## بنتٌ ..ونخلٌ ..ويمامٌ .. وقمر

قريتُنا : جبلٌ كهلٌ ..
وبيوتٌ من طينٍ أنْثى ..
نخلٌ مختالٌ ،
وزروعٌ خُضرٌ
ويماماتٌ تسعى
حتى تستتر الشمسُ بأكتافِ الجبلِ الغربي
فتعودُ
تحطُّ على أكتافِ بيوتٍ من طينٍ
وهديلٍ ..
وحكاياتٍ أنثى..

قريتُنا
بنتٌ من حلمٍ وحريرٍ
تفترشُ مداخلَ سهرتِنا
كل مساء
وتحلُّ جدائلَ فتنتِها
ليلاً من مسكٍ فطريٍّ
فتضيعُ مداخلُها الأنثى بالطيبِ وبالهمسِ
وبالقَصَصِ السحريِّ ...

بنتٌ
تختْمرُ بأحلامِ الأقمارِ الساهرةِ السكرى

تحلمُ أنْ تدخلَ غرفتَها
وتفضَّ جدائلَ لهفتِها
وتواربَ نافذةً تحتجزُ سماءَ الله
ومرمرَها ..

بنتٌ ..
يتسللُ عاشقُها
كل مساء
ليمرَّ على مخملِ خديْها
وينامَ على مرمرِها
يوقظُ ألسنةَ الناسِ ،
وغيرةَ كلِّ نساءِ الدنيا ..
حين يغنِّيها ألقًا ومواعيدَ ..
وأمواج أنثى ..
قمرٌ عَشَّاقٌ
يتسللُ من نافذةِ البنتِ ليسكنَها
ويمرُّ على مخملِ خديْها
لحظاتٍ من سندس .. وتفاصيلَ غناء ..
قمرٌ يتسللُ .. كل مساء
ويرشُّ الفضّةَ فوقَ وسائدِها
وجدائلِها ،
ويواعدُها .. ويغيب
بنتٌ من عسلٍ وحليب ...
تنسجُ من ليلِ مفاتنِها شُبَّاكًا شبكًا ..
تطرحُهُ بسماءِ اللهِ

بمشرقِ بهجتِها .
فتصيدَ القمرَ العَشّاقَ المُتلصصَ
خلفَ ستائرِ أُسَرَتِها
فيمرُّ على مخملِ خديْها
وينامُ على مرمرِها
حتى يتمَطّى ديكُ الوقت
فيوقظُ غفلتَها .. ، وأقاويلَ الناسِ ،
وغيرتَهم ..!!

فجرٌ ذَكَرٌ ..
وصلاةٌ أنثى
..............................
فتقومُ البنتُ
تُغَلِّقُ شُبّاكَ الحلمِ
وتجمعُ كلَّ مفاتنِها
وتنام ........

جبلٌ كهلٌ
وبيوتٌ من طينٍ أنثى
ويمامٌ
كانت قريتُنا

أسيوط ٢/١٠/٢٠٠٨

## صباح للجنون

هذا الصباحُ
يطلُّ من شبّاك ذاكرتي
فتدخلُني الظنون ..
هذا الصباحُ يلمّ بي
صُبْحًا بلا وردٍ
يضمّخُ قريتي بالذكرِ والصلواتِ
والأملِ الحرون ...

هذا الصباحُ بلا صبايا
يغترفْنَ جرارَهُنّ من العيون ...
هذا الصباحُ بلا عصافيرَ
تغنّي شعرَهاالغجريَّ
مبتلاً بآياتِ الندى
وبلا صغارٍ يضحكون ...

هذا الصباحُ بلا : [ صباح الخير يا ولدي ]
فماذا قد يكون ؟!!

..........................................

هذا صباحٌ
أم صباحٌ للجنون ..!!

أسيوط ـــ ٢٠٠٨

## مسبحة الصحبة

ما أجملَ ماأعطاكَ اللهُ بلا سُؤْلٍ يا[ درويش ] .. !!
فتحسسْ مِسْبَحَةَ الصّحْبةِ
سبِّحْ ،
وتهجَّى الأورادَ
الحمدُ لمنْ أعطى للعبدِ المُمْتنِ محبتَهم ..!!

أعطاك محبّةَ أطفالٍ/ آلهةٍ ، برءاءَ ..
شابوا بالحكمةِ قبلَ أوانِ الشيّبِ ...
آلهةٍ فوقَ عروشٍ من صدقٍ وصفاء ..

سبحانَك يا من جلاَّهُم لأجالسَهَم
وأجادلَ ما يسَّاقطُ من بينِ أصابعِهِم
شعرًا
وحكاياتٍ
وتصاويرَ غناء ..

ممتلئًا بالنشوةِ [ سعد ] [8]
يطرقُ بابَ الصدفةِ
ويشيرُ إلى أطفالٍ يرسمُهم
شُعثًا غُبْرا

---

(١) الفنان التشكيلي سعد زغلول.

: يا سبحانَ الله ..
يرسمُ أطفالاً نعرفُهم
بلْ كُنّاهُم يومًا ..
ويقولُ كمن يكتشفُ الأرضَ :
يا سبحانَ الله ..
لم أرسمْ طفلاً منهُم ينتعلُ حذاءً ؟!!
.........................................
نكتشفُ اللوحاتِ
فنكتشفُ طفولتَنا ..

[ حسوبة ] (٩)
رغم غروبِ ضياءِ العينيْنِ
يوسّدُ في كفيْه الشمسَ ،
ويجلسُ فوق عروشِ التاريخِ
يتقاسمُ والكهانُ نبوءتَهُم
ويتيهُ بزهوِ الفرسانِ ، ونبلِ البسطاء
...............................
أما الصعلوكُ الداخلُ في ملكوتِ اللهِ بلا قيدٍ
بمجونِ طفولتِه
يحضرُنا رغم تخلُّفه
إذْ لا تكتملُ الصُّحبةُ
إلا بحضوركَ يا [ إبراهيم ](١٠)
يا هذا القديسُ العابثُ ،

---

(٢) صلاح حسوبة الممثل المسرحي القدير.

(٣) الممثل والمخرج إبراهيم فؤاد أحد رواد المسرح في أسيوط.

معبدُنا يشتاقُكَ ،
تنطفئُ الأنوارُ وتبقى أنتَ مضيئا
عفريتًا عُلويًا
تنسى الأعوامَ الخمسين الستين السبعين وترقصُ
ترقصُ ..!!
ممسوسًا بالبهجةِ والأُنسِ ..!!
أما نحنُ ..
أعني عشَّاقَك ومحبيكَ
فنجلسُ في الظلِّ / الظلمةِ
نحبسُ أنفاسَ الوقتِ ، وصرختَنا ،
حين يجلجلُ صوتَك ممتزجًا برحيقِ الكلماتِ ..!!
..................
ما أجملَ ما أعطانا ..
إذْ أعطانا نزقَكَ يا إبراهيم ..!!
ما أجملَ ما أعطانا الله ..

يفتينا [ عزّت ] (١١) أنَّ اللهَ محبة
ولهذا
تركَ القُدَّاسَ ليلحقَ جلستَنا في عيدِ الميلاد
منبهرًا بقداسةِ ما نتلوا في خلْوتِنا
من صلوات الدفءِ ،
ترانيمِ الصفْوِ ،
وأذكارِ القُرباتِ ..
من أجلك يا من غبتَ عن الصحبةِ

(٤) عزت دانيال الممثل المسرحي.

من أجلِ محبتنا في الله ..

....................................

ليلاتنا ليلاتٌ يخطُرُنَ بلا وجَلٍ
حين يدقُ الصمتُ
وحين يتمتمُ ليلُ الصحْبة بـ [الستِ ] (١٢)
و[ فيروزَ ] (١٣)
ورائحةِ شواء ، وقليلِ من شاي دافئ ..

....................................

و[ عطا ] (١٤) منفردًا ينْصتُ
يملكُ دهشةَ هذا الكونِ ،
قد يسألُ عمن شقَّ عصا الوقتِ وغادرَنا
قد يحملُ أخبارًا عن ناسٍ كُنَّا نسألُ عنهم
أو سقطوا من ذاكرةِ الصحْبةِ
لكنَّ الدفءَ الساكنَ في عينيه يظلُ يضيء ..
رغم قتامةِ ما نلْقى ..

....................................

يتعرَّى الطفلُ الساكنُ في أضلعِ [ قرَّاعَة ] (١٥)
حين تمرُّ الفتنةُ في ثوبِ امرأةٍ
أو حين تمُرُّ طيوفٌ منْ زمنٍ راح ...
فيلملمُ أطرافَ القولِ
يتحصنُ خلفَ جهامتهِ

---

(٥) الست : أم كلثوم.

(٦) فيروز المطربة الشهيرة.

(٧) محمد عطا ممثل كبير وفنان في تشكيل المعادن.

(٨) الدكتور محمد قراعة أحد أهم الممثلين في صعيد مصر.

أويدخلُ في سَمْتِ الآباءِ الكُهّان ..!!

لكنَّ الولدَ العفريت يغافلُهُ

يقفز من بين أضالعه مبتهجا

حين تمرُّ الفتنةُ في ثوب امرأةٍ ..

......................................

......................................

آهٍ يا مسبحةَ الصحبةِ ..

لا تنْفَرطي ..

ودعيني أتهجَّى وردَكِ ،

وأقول : الحمدُ لمَنْ أعطاكَ محبتَهُم يادرويش ..

المنيا ١٥/١٠/٢٠٠٨

# الاعترافُ الأخير

**فاتحة :**

وأوصيكم
إذا ما استأثرَ التجارُ بالفُتْيا ،
وقولِ الشعر ،
وانعقدتْ لخصيَانِ المجامِعِ رايةَ الشّورى ،
وحالَ الحولُ دونَ تبدُّلِ الأحوال ..
فانتظروا انعتاقَ الريحِ ،
والسحبَ الشواظية ،
فتلك قيامةُ الفقراءِ في الأسْمالِ
وفي دوامةِ الطوفان لا تسألْ
عن الأسوارِ والأغلال ..
عن القضبانِ ، والمدنِ الزجاجية ......

درويش الأسيوطي

## [الاعترافُ الأخير ]

أنا الملومُ لا الوحوشُ ..
أعترفْ ...
أنا الذي ركنتُ للخمولِ والسُّكوتِ والتَّرَف
وتحت ظلِّ ما ادعى الوحوشُ من سَخَف
عن الحقوقِ والنظامِ والشرف ...
أسلمتُ للنيوبِ أخوتي..

أسلمتُ للوحوشِ واحدًا
بأولِ الطريقِ مرغمًا...
وواحدًا أسلمتُهُ والدربُ ينعطف ...
أنا الملومُ أعترف ..

فقد سكتُّ حين كان واجباً عليَّ أنْ أقول
جبنْتُ ..؟!! ربما ..
طمعتُ ؟ !! ربما ..
وربما أكونُ قد خرستُ إذْ أصابني الذهول
لم يستطعْ صراخُ من يموتُ ،
من يجاهدُ النيوبَ بالقرون
أن يطلقَ اللسانَ من عقالهِ
فقد دخلتُ طائعاً ..
حظيرةَ السكوت

......................................

والآنَ

و النيوبُ في الضلوعِ تختَلِف

تقطِّعُ الإهابَ .. والعروقَ .. والكتفْ

أدركتُ هولَ وحدتي ..

بالغابِ صرتُ ثورَهُ الوحيدْ

أدركتُ أنني افْتُرِسْتُ منذُ زمنٍ بعيد

فقد قتلتُ يومَ قلبي ارتجفْ

وأسلمَ الشقيقَ للعدوِّ طائعاً،

واستبدلَ اليقينَ بالصُّدف ...

..................................

وها أنا أموتُ آسفاً

وليتني أسفتُ قبلها

أو حين كان ينفعُ الأسَفْ..!!

## [ أغنيةٌ للقمر ]

أنا رغم جُرحِ الربابات
ما زالَ في القلبِ لحْني
وأعرفُ أنَّ شموسَك
لم تحْتَجِبْ خلفَ أُفْقِ التأنِّي
سحابةُ صيفٍ وتمضي
ويشرقُ صبحُك فوقَ الدروب

وأعلم أنك لا تمنعين المحبينَ وصْلَك
إغفاءةً تحت ظلِّك ،
أو تمرةً من جناك الرطيب .

ستشرقُ شمسُك بعدَ الغُروب
ويمْتَدُّ ظلِّي ويمْتدُّ
يحضنُ رملَ الجزيرة
ويمتدُّ .. يمتدُّ
يثمرُ نخلُ العراق
ويمتدُّ .. يمتدُّ
يخضَرُّ زيْتونُ تونس
يمتدُّ .. يمتدُّ
تُمْحي شقوقُ الشقّاق
فإنَّ احتجابَك بعضُ التدلُّلِ،

والاشتياقُ
كفيلٌ بغفرانِ ما فاتَ
مِنْ نَزقِ العشْقِ أو مِنْ عَثَراتِ الرِّفاق
أنا واثقٌ
رغم طولِ التشَرْنُقِ والانتظار
أنا واثقٌ
رغم سورِ التقوْقُع ،
رغمَ الحصار
أنَّ شمسَك لابد تطلع ، يأتي النهار
فتخرجُ للنورِ كلُّ الفراشاتِ من كلِّ دار .

أقامرُ عَبْرَ دروبِ التمنِّي
بإعلانِ صمْتي
و إعلانِ حُزْني
أحاولُ رغم انحطام الضلوعِ
اختصار المسافةِ بين الغروبِ وبين الطلوع
ورغم جفافِ العروقِ
أحاولُ أنْ يدفعَ الصدرُ عنك التجنِّي
فإنِّي وإنِّي وإنِّي ..
أنا رغم ضعفي وحزني منْك ،
وأنتِ ــ برغم احتجابك ــ منِّي
.....................................................
فيا ضيعةَ الحلْمِ
إنْ مرَّ هذا النهارُ
ولم يمتَلي منْ رحيقكِ دنِّي
وما أضيعَ العمر

إنْ طالَ هذا المدارُ

وأقْصاكِ عنِّي

إذا لم تفدْ أغنياتُ الصِّغَارِ

فإنِّي أُغنِّي :

[ يا بناتِ الحورْ

سيِّبُوا القَمَرْ

دا القَمَرْ مأسورْ

ولا عندي خَبَرْ ] *

* من أغنيات الأطفال الشعبية عند كسوف الشمس وخسوف القمر .

## [ ملحُ الانتظار ]

تقـــولُ حبيبتي جفَّتْ ينابيعُ الهوى عنْدَكْ
فمـــا أصبحْتَ تذكُرُني بشِعْرِكَ أم تُرى ردَّكْ
عن البحرِ الذي تهْواهُ في عيْنَيَّ ما ردَّكْ
أراكَ سأَلَوْتَ كاسأاتي ملولاً إذْ صفا ورْدَكْ

أنا يا فتنتي السمراء
ما جفتْ ينابيعي
ومفتونٌ أنا بالبحرِ في عيْنيْكِ
بالإبحارِ مرْتحلاً وراءَ مرافئِ الذكْرى
وأحلمُ بالشطوطِ الأمْنِ منْتجعًا ،
وفي دوامةِ السِّحْرِ الذي ينسابُ
بين شواطئِ الأهدابِ .. متسعًا
فأسبحُ في عُبابِ الشَّوقِ عبْرَ برازخِ الإلهامِ
مُمْتطيًا جوادِ الشِّعرِ ،
مُغْتَبِقًا بأغنيةٍ ربيعية
فتذْهمني جبالُ الثلْجِ ،
أفقدُ كلَّ أشرعتي
وأوراقي ، وأقلامي ، وأمتعتي ..
وتذبلُ في الشفاهِ الحلمِ
أغنيةٌ رمادية ...

ومفتونٌ أنا بالبسمةِ السكْرى
علي شفتيْن كالنُّوارِ
ورغم مواسم الريحِ الجنوبية
فما زالتْ علي خدَّيْكِ ــ في عينَيَّ ــ سوسنةٌ
وفي شفتيْكِ عنَّابة
تجادلُ مفْرداتِ البوْحِ والإفْصاحِ .. وثَّابة
وتأبى رغم عنف الريحِ
رغم مواسم الإعصارِ أنْ تذْبُل
وتبقي في دروبِ العشْقِ لبْلابة
وتقْتلعُ الرياحُ الهُوجُ
أسواري وأبنيتي ،
مفاعيلي وقافيتي ،
وأغنيتي الرمادية ..

ومفتونٌ أنا بالليلِ
منسدلاً علي كفِّي ..
ومنسكبًا علي وديانكِ المرْمَر
وتحت جناحِ ذاك الليل
تولدُ أجملُ الأقمارِ
ينبتُ عودُنا الأخضرْ
فنسكبُ في مراقدنا .. مواجدَنا،
يضوعُ المسْكُ والعنْبَرْ .
وأشربُ منْ عيونِ الليل
فوقَ وسائدِ اللُّقْيا .. ولا أسْكَرْ

فمعذرةً..
شطوطُ الحلمِ في عينَيَّ مُقْفِرَةٌ ومُحْتلَّة،
وكلٌّ مواسمي عطشٌ،
وكلُّ الأرضِ مُوحِلةٌ ،
وكلُّ ملابسي مزقٌ ، ومُبْتَلَّة .
ويقتلني امتدادُ الليلِ في دربي
ظلامُ الليلِ لا يُخْفي مَعَرَّتَنا
ولا تكفي مرارتَنا بحارُ الشَّهْدِ والسُّكَرْ ،
فيهربُ مِنْ فمي شِعْري
عنِ العنَّابِ والمرْمر
عنِ الأقمارِ والبلَّوْرِ والعَنْبَرْ
ويبقي في فمي
مِلْحُ انتظارِ الصبْحِ والذِّلَّة .

## [الحلم]

يطاردُني ذلكَ الحلمُ دومًا ،
ودومًا يجيءُ إلي مخْدَعي
أحاولُ أنْ أزرعَ الأمنَ فيَّ
فتنسابُ من قلمي أدْمُعي
وتعْثُرُ كلُّ الجيادِ الأصيلةِ
في مصرعِ البيْتِ
عند احْتدامِ الغَضَبْ
وتهجرني أحرفُ العطفِ
تذْبلُ كلُّ زهورِ الحدائقِ،
تغدو هشيمًا ،
ويعلو اللهبْ
فأجري بكلِّ الدروبِ التي
تسْتقئُ المسافاتِ .. أركضُ
يدركني في الفرارِ التَّعَبْ ..
فافزعُ للانزراعِ المقيتِ أمامَ التماثيلِ
أطرحُ أسئلتي بالطريقِ
فتأبي الطريقُ جوابَ الطَّلَبْ .
وحين أودعُ آخرَ صحْبي
أجيءُ الفراشَ ، أراهُ معي
جنودٌ .. خناجرْ...
تغوصُ الخناجرُ في أضْلعي

أنا لست أفهمُ
كيف تزينُ السماءَ النجومُ
وكلُّ الخناجرِ تبغي دمي
وكيف نواجهُ أزواجَنا بالفراشِ
ووشمُ الخَصِيِّ على معْصَمي ؟!!
وكيف يلين لي الحرفُ ..
حين أبادلُهُ الهمسَ ..
دون فم ؟!!

## [أغنياتٌ تشرينية ]

[١] قمري:

قمري الذي
من نورِ عيْنِ حبيبتي أطلعتُهُ
من يا ترى بعد الطلوعِ .. غيَّبَهْ ؟!
يا قومُ مَنْ
مِنْ خلفِ ظهْريَ أغْضَبَهْ ؟!!
قمري الذي
من الوريدِ زيتُهُ،
أيُّ سحابٍ غالَهُ ليحجبَهُ ؟!!

أشرقْ .. فقد طالَ الأفولْ
إني انتظرتُكَ ألفَ عام
كلُّ الزهورِ تساقطتْ عطْشى بقارعةِ الفصولْ .
أشرقْ .. فأسوارُ المدائنِ غارقاتٌ في الظلام
وعساكرُ الإفرنْجِ في طينِ البيوتِ
تدقُّ أوتادَ العسسْ ..
من يطلقُ العصفورَ من صدري
فينشدُ أغنياتٍ للقمر ..
قمري الذي أطلعتُهُ
قمري الذي ضيعتُهُ
والآن يقتلني الخَرَسْ ..!!

[٢] أغنية للبنادق :

تمليْتُ عينيْكَ
في لحظةِ الانعتاقِ من الخوفِ،
من وهْدَةِ الانتظارِ المُخاتلِ...
كانت عيونُكَ فيضًا من الحُبِّ ،
والخوفِ ، والعنفوان ،
وكان ارتجافُكَ إرهاصةً بالزلازلِ .
وكانت عيونُ البنادقِ نشوى
تُزَغْرِدُ بالفَرَحِ الوَثَنيِّ
وتقفزُ من بين كلِّ الضلوعِ الأماني
تسبقُ خطوَك نحو المنصةِ
حين تصوِّبُ
يهتزُّ قلبيَ بين الضلوعِ
وكفُّكَ تُحْكِمُ وضعَ القلوبِ الغليظةِ
في دائرةِ الموتِ ..
ــ موتوا ..
فقد مات عصفورُنا بالصدور ...
موتوا ..
لكي يتوقفَ نزْفُ العروقِ البحور ..
وموتوا ..
فإنَّ دماءَ الضحايا تجفُّ،
وما عادَ هذا الزمانُ
زمانَ التعللِ بالصبر
ما عاد هذا الزمانُ الزمانَ المنافق ..
هذا زمانُ الطلوعِ إلي الشمسِ
تلك المواعيد أعطيْتُها للأحبةِ
أعطيتُها الآنَ يا صحْبتي للمشانق ..

[٦] [ بوْح ]

لا تسألِيه

فإنَّ الحزنَ يمنعُه من أن ْ يبوحَ ،

فتكفي منهُ أدمُعُهُ

واستبدلي حيْرَةَ العينيْنِ معذرةً

فليس يعرفُ ماذا باتَ يدفعهُ ..

لكي يلوذَ بصمتِ آثمٍ زمنًا

يمزّقُ الحزنُ فينا ما يرقعُــهُ

يا أيها الشعرُ

يا جمْرًا حملْتُ بِهِ كــرْهًا ،

وكرهًا أتاني ..

كيفَ أُرْضعُهُ ؟؟!!

قد كنتَ ــ في سالفِ الأيامِ ــ تطربُنا

بلحنِكَ الصّفْوِ .. حــرًا ...

إذْ تُوقعُــهُ

وكنت تنفحُنا طيبًا

بأغنيةٍ من العبيرِ ،

شذيً حلوٍ تضوّعُـــــهُ

وكان بالشطِّ نخلٌ

كنتُ أحسبـــهُ يميلُ زهــوًا

ويرقصُ حين تُسْمِعُهُ

كأنما الريحُ ساسَتْ خيلَ نزوتِها بين الخمـــائلِ

حتى لا تفَــزّعَهُ

وكان ضحكُ السواقي
ــ حين تلثمُها ــ
لحــنًا علي الناي ، مِمْرَاحًا تُرجِّعُهُ

يا أيها الشعرُ
ماذا قد دهي كبدي؟!!
مفتتًا صارَ ،
هذا البوحُ يوجعُهُ
ما بال لحنك محزونًا
يبادلُني آهًا بآهٍ ،
فتُبْكينا مقاطعُهُ ؟!!
كأنَّ خيلَ المنى
أطلقتَها بدمي همًّــا يدكُّ ضلوعي ،
حين أبدعُهُ

يا سلوتي
لست أدري كيف يدْهمُني في ليلِكَ الحزنُ ؟!!
من بالقلبِ يُطلعُهُ
ومن يغلِّقُ بالظلْماءِ مُدْخلَنا إلي صباحِكِ ؟!!

من بالشوقِ يزرعُهُ
وأين زهو القوافي حين أنشــدها؟!!

زهرُ القصائدِ يذبلُ فيك مطلعُهُ

## [ أمنياتٌ ربيعية ]

في أولِ يومٍ من كلِّ ربيعٍ
يرحلُ في بحرِ محبتِكَ القلبُ ،
يغيبُ وراءَ الأحلامِ ..
يفْتحُ صدفاتِ الرؤيا،
يلقي للعينينِ سلامًا ...

عيناكِ صفاءُ البحرِ
ورونقُ أسماءِ الله ..

منيتُكِ يومًا
أنْ أحملَ عن كاهلِكِ الصابرِ
ثقْلَ العوْزِ ، وحمْلَ الأيام ..
منيْتُكِ يومًا..
أنْ أصبحَ في كفّيْكِ المصباحَ السحريَّ
وأهتفُ : شبيْك ولبيْك
منيْتُكِ يومًا بفراشِ الراحةِ ،
وسماطِ الوفْرَةِ ،
بنساءٍ يحْمِلْنَ إليك اللقمةَ،
ومياهَ وضوئك كلَّ صلاة ..
يا الله ..
يا كمْ منيتُك وأنا غضُّ الفكرِ
ألمَلِمُ من صدْرِ الأيامِ الفاقةَ ..!!

ويجفُّ بحلْقي ريقُ الحرفِ البكرِ
منيتُك أنْ أكتبَ في عينيكِ الشعْرَ ..!!

..........................................

لكني
أنفقتُ سني العمرِ الأولى
في أحلامِ الفوزِ ..
أشعرُ بالعجزِ ...
العوزِ
المقت
الحسدِ
الموت ..!!
لا أقدرُ يا أمي ..
طفلاً عُدْتُ أنا ..
لا أقدرُ أنْ أحملَ عن كاهلكِ الحمْلَ،
أحتاجُ إليك ،
أحتاجُ لصدرِك كيْ أُلْقي رأسيَ
وأعودُ علي صدرِك طفلاً
يخشى إنْ فارقَ صدرَكِ أنْ تتخَطَّفَهُ الجِنُّ .!!
يخشى إنْ جفَّ الثدي المأمولُ
الموت ..
معذرةً يا أمَّ الإنسان ..
جفَّ الضرعُ المأمولُ الري
واستعصتْ محاراتُ الواقعِ
وتهيَّبَ طيفُ الحلمِ دخولَ حياتي
فالحلمُ الأخضرُ تقتلُهُ الحاجاتُ اليوميةُ
تجبرُهُ أنْ يرحلَ
و يهاجرَ عبْرَ الطُرقِ المنسية ...

## [ تعليق علي ما لم يحدث ]

**ما لم يحدث :**

كان القلبُ اليافعُ نهرًا
وضفافًا وجسورًا
كان جَسورًا..
لا يخْشي شوْكَ الوردِ ،
ولا غضبَ النحْلِ ، ولا حزنَ الأغصان..

كان العالمُ بالقلبِ اليافعِ حلْمًا
بغدٍ ميمون الطالعِ ،
تشرقُ فيه الشمسُ المخبوءةُ
ما بين ضفائرِ من يهوى
فتضيء وتبتهجُ الأكوان ..!!

كان القلبُ العاشقُ متّسعًا
للحبِّ ، وباقاتِ الوردِ ،
وللألحان ...

حين اشْتدَّ القلبُ ،
وأدمَنَ عشقَ الحقِّ
تغيرت الألوان ..!!

حين تسللَ هَمُّ العشْقِ إلي القلبِ الأبيضِ

شاخَ الحرفُ،
تخَثَّرَ ماءُ القلبِ
تحَجَّرَ ،
صارَ القلبُ اليافعُ قنبلةً دُخَان ..
من يجرؤ في هذا الزمنِ اللهبِ المتفَجِّرِ
أنْ يحملَ هذا الهَمَّ القاتلَ
في صدرٍ أبلاهُ الكتْمان .؟!!

صادفني قلبُ ، عثُرتْ قدمي فيهِ ،
تحاشتْهُ الأقدامُ الراكضةُ اللهْفَي ،
طوَّقَهُ جُنْدٌ جوْعي
غُرِسوا في هاماتِ الطرقاتِ
لئلا يتدحرجَ تحت نوافذِ قادتِهم ...
ما يخشاهُ القادةُ
أنْ يُسْمَعَ صوتُكَ
حين يخونُكَ صبرُكَ فتَئنُّ ،
فترتعشُ القضبان ...

حين انفجر القلبُ ، تناثرت الأحلامُ
آه يا قلبًا خانَ الصبرُ تمرُّدَهُ ..!!
كم فيك من الأوهام ؟!!
[ لقمةٌ خبزٍ.. وفراشٌ دافئ ..]
يا للحلمِ الورديِّ الناعمِ ..!!
...............................................
هل هذا حلمي أم حلمك ؟
لا أدري ..
ما أكثر شعراء العالم ..!!

تعليق :

العيونُ التي ترقبُ الصبحَ مطفأةٌ
والعصافيرُ سربٌ
تهيَّأَ للارتحالِ
والنخيلُ الذي نامَ دهرًا تغطيهِ أسمالُهُ ..
تعَرَّى خجولاً أمامَ اللهب ..
صاحبي ..
أنت لا تصنع الفجرَ من وشوشاتِ الهواجسِ
بل من زهورِ الغضب ..
كيف تبحرُ في لجَّةِ الليل بسمةَ فجرٍ
وأنت تسامرُ زهْرَ الغَرَب ..؟!!*

* نبات له زهر حجازي الموطن .

## [ الليلةُ الماضية ]

مغرمٌ بالزهورِ وبالعطْرِ
ذاك الفتى ...
غير أنَّ الورودَ تبادلُهُ الشوكَ بالشوقِ،
والوخزَ باللمسةِ الحانية .

مفعمٌ باخضرارِ البراءةِ في حلمِهِ
والحياةُ توزِّعُهُ
في دروبِ المتاهة
تسقيهِ كأسًا من الاندهاشِ
وتسرقُ من عمرِهِ الغضِّ
أحلامَهُ الباقية ...!!

مغرمٌ بالنجومِ ..
ولكنَّهُ ..
حين يذبلُ شمعُ المساءِ ،
وينْسكِبُ الصمتُ بالظلْمةِ الغَافيَة ،
تختفي ثرثراتُ النجومِ ،
ويبقى وحيدًا
يفتِّشُ عن لحظةٍ تاليَة ..

حين تفْتحُ شُبَّاكَها
للصباحِ المعطَّرِ ،
والأغنياتِ البريئةِ ،
والخضرةِ الصافية ...
تشرقُ الأنجمُ الغائباتُ علي شعرِها
سوسناتٍ مطرزةً بالندى
والمواعيدِ ..
والفرصة الآتية ..

والفتى الغضُّ .. مازالَ يحلمُ ..
مازالَ يحلمُ
ما زال يحلمُ
ما زال يحلمُ بالليلةِ الماضية ..!!

## [ في انتظارِ الوهم ]

تعانقُني ذكرياتُ الطفولةِ في قريتي...
هنالك حيثُ الرجال رجالٌ
وحيث النساءُ نساء ،
وحيث تُسمَّى بأسمائها الكائناتُ ..
لنا الليلُ،
والقمرُ المستَظِلُّ بأشجارِنا ، والسحابُ ،
وأقصوصةٌ من بناتِ المساءِ
تُسَاقِطُها الألسنُ الراعشاتُ ..
وطيبُ الوجوهِ القديمةِ يسْخو ،
فيمتلئُ القلبُ بالدفءِ ..
نقْتَسِمُ الليلَ والحلمَ والأغنيات ...

تغافلُنا دورةُ الفلكِ بالصبحِ
يسرقُ منَّا الْتِمَاعَ النجومِ
وبشرَ الوجوهِ
ويُلْجِمُنا بالسُّكات ..
قطارُ الرحيلِ يفرِّقُــنا ،
نلتقي بالزحامِ ،
يُقاسمُنا الخوفُ ظلَّ الرِّفاقِ ،
وبشرَ الوجوهِ القديمةِ ، والأمنيات ..

ونمضي ..
نقايضُ طولَ الطريقِ التشكُّكَ
بالبردِ والارتعاشِ ..
وبعضِ الوجوهِ الغريبةِ
بعضِ النوافذِ ، واللافتات ..

وكم كان صدرُ الشواطئِ يُزْهرُ بالبشْرِ
كم كانت السفْنُ ترسو وترحلُ ،
تراها أتأخذُنا للفراديسِ ..
أمْ تزرعُ القلبَ في أمسياتِ الشَّتَاتِ ...

غناءُ المجاديفِ وهمٌ ،
وصوتُ ارتطامِ المجاديفِ بالماءِ وهمٌ ،
ووهمٌ غناءُ النَّوَارسِ ،
والانتظارُ انتحار ..
وهذا الفضاءُ الذي ينتهي عند إشْراقَةِ البدْءِ وهمٌ ،
وشوقُكَ في القلبِ للجنَّةِ المبتغاةِ خيال ..
فماذا وراءَ انتظارِكَ للوهمِ ؟ !!
لا شيء يحملُهُ الماءُ
غير الضبابِ المُضِلِّ
وغير المتاهةِ والانكسار ..

ها أنت أعطيت للماءِ عمرَكَ ،
للبحرِ والشطِّ والانتظار
فماذا جنيتَ سوى المِلْح ،

والأمنيات ،

وبعض المُحَار ..

وأنت الذي قد خلقتَ ارتحالَ السّفائنِ في الأفْقِ

أنت الذي أوهمَ الشطَّ

أنَّ السفائنَ لابدّ آتية بالزبرجدِ

أنت الذي ألبسَ الوهمَ ثوبَ التمنّي

فأزهرَ في القلبِ شوكَ المرَار ..

لمن تَلْبسُ اليومَ ثوبَ المواعيدِ ؟!!

لا الشكُّ يُنْبِتُ وجْهَ الرّفاق ،

ولا الموجُ يحملُ دفءَ البيوتِ ..

ولا من شراعٍ يُلَوِّحُ في البعدِ

كلُّ المناديلِ مبتلّةٌ بالدموعِ ،

وكلُّ الأكُفِّ تغوصُ إلي الماءِ

........................................................

ما أطول الدربَ

حين يخالطُكَ الشوقُ ..

حين يعزُّ عليكَ الرجوعُ ،

وحين يشقُّ عليك الفرار

## من مذكرات مروان بن محمد

بعد موقعة الزاب الكبرى

(١) ... لأن الشمسَ قد مالت
وطال الظلُّ والصخبُ
فما ندري
أَنَغْرِسُ وجهَنا في الشرقِ
أم تتبدلُ الأنحاءُ كالأيامِ ، لا أدري
بأي حرابِهم كانت مصارعُنا
ولا أدري
أخوفُ الموتِ مزَّقَنا .. أم الذَّهَبُ ؟!!
وما أدريه أنَّ النهرَ بين جنودِنا
قد دسَّهُ السفَّاحُ ..
غاصَ الجِسْرُ والأحلامُ ..
صاحَ الموتُ والهربُ ..

(٢) ... أيا [ حرّان ]
ملتجئًا أجيء إليكِ ..
مُلْتمسًا لدى أَهْليكِ مُنْتجعًا ومُتَسعًا ،
منحتُكِ حين كانَ العرشُ مُستندًا إلي ظَهْري
طعامَ الطفْلِ ، والفَرَسِ ،
وقالَ الأشقرُ المهزومُ : لا تركَنْ إلي ما كانَ
واستَطْلِعْ طريقَ الشامِ ،
باعَكَ ــ يا أميرَ المؤمنين ــ القومُ للعَسَسِ !!

(٣) ... أفرُّ إليكِ يا حِصنًا يُلاذُ بهِ
إذا ضاقت بنا السُّبُلُ ،
دَعي أسوارَكِ الشماء تحرسُ جرحَنا العربيَّ
فخيلُ الفرسِ في إثْري ،
ورُمْحُ الرومِ في نَحْري ..
وفرَّ الناسُ ..
أسْلَمَني بنو حرْبٍ وسلاَّمُ
وأسلمني جنودُ البُرِّ والعسلِ ..
وأنت [ دمشق ] ...
لا سيفٌ إذا ما جارَ يرهبُها
ولا ذهبٌ يُرَضِّيها
فتَحْتَبِلُ ......

(٤) ... يقولُ الناسُ في وجهي
فداك أبي ، فداك دَمي
وإنْ مالوا تساقطَ بينهم اسمي
وقالوا أخْرِجوا المشئومَ
لو للفرسِ أو للرومِ ...
بين عيونهم يَخْضَرُّ عودُ الشكِّ
والوَجَـلُ ..
وهاأنذا أُطَارَدُ تحتَ جُنْحِ الظَّنِّ والتأويلِ
أرْتَحِلُ ......

(٥) وعند مخاضةِ الأرْدُنِّ
كان الوحلُ والخيبة ..

وكان القدسُ منْهزمًا..
وحينَ اصْطَكَّ بابُ الشامِ في ظَهْري
هتفتُ .. هتفتُ ..
يا سيناء ..
لم تُجبِ ..
هنا تتبدلُ الراياتُ
ألويةٌ ملوّثةٌ ومُنْسحبَة
وترتفعُ البنودُ الزُرْقُ .. أعني السُّود
تسقطُ رايةُ العربِ ......

خِتام :
دخلْتُكِ يا مصر
جرحًا ينوءُ بِهِ الهَمُّ،
يستعجلُ البُرْءَ
والنيلُ مُغْتسلٌ للهمومِ،
رأيتُ عيونَ التماسيحِ تغْتالُ خَطْوي
وجدتُكِ جوعًا عضالاً نبيلاً ..
وما عُدْتِ من جئتُ أخطبُ ودًّا ،
وما عدتِ من جئتُ أطلبُ جُنْدًا ،
وسيفًا وغمدًا ،
وقمحًا وطَمْيًا ونيلا ،
فماذا وراءَ المُطارَدِ ميلا فميلا ..
[ فإنْ كانَ لابدَّ منْ ميتةٍ
فسيري إلي الموتِ سيْرًا ( جميلا ) ]

## أغنيةٌ للظلام

أطلّي ولا تتركيني
بعينيك لا تتركيني ..
فكلّ المرافئ غلّقَها اليأسُ في مقلتي
وكلُّ الشموسِ المضيئةِ
مطفأةٌ في عيوني ..
وكلُّ الفراشاتِ ترحلُ
كلُّ الغصونِ الحواملِ بالزهرِ تذبلُ
كلُّ الشّعاعاتِ غابتْ
فلا تحرميني ضياءَ العيونِ ..

تَخَذْتُك حِصنّي
إذا حاصرتني الحياةُ ــ ظنوني
أخافُ الرياحَ التي لا تَني تزرعُ الخطْوَ خلفي
وترعبُني رعشةٌ تعتريني
وينبتُ خوفيَ بين الأكفِّ ،
وتحتَ الثيابِ ،
وفوق الجبين ..
وأسمعُ دمْدمَةَ الريحِ..
خلفَ النوافذِ في كلِّ حين
فأوصدُ كلَّ النوافذ
علَّ الشموعَ التي بالضلوعِ
تظلُّ تضيء طريقَ السنين ..

أطلِّي ولا تتركيني
ورُدِّي إلي قلبِ منْ يستَبدُّ بِهِ الخوفُ أمنَك،
رُدِّي عليَّ يقيني ..
فكلُّ الذي في فمي
من تراتيلِ شعْري يغْدو نشازًا
وكلُّ اللُّحونِ ،
ويستعْبدُ القلبَ شكٌّ مقيمٌ
يزلزلُ كلَّ الثوابتِ حولْيَ ،
فالشكُّ بعضُ الجنونِ ..

تساومني الريحُ
أُسلمُها شمعةً في ضلوعي
فتسلمني كلَّ ما تحت أَرديةِ الليلِ ،
خيْلَ الفتونِ ..
تتوجني فوقَ عرشِ التَّهاويمِ ،
كلُّ الممالكِ طوعُ يميني ..

لكنْ ..
ــ يقولُ لي النورُــ إنَّ الذي في الظلامِ ظنونٌ ،
وما عُدْتُ أعبدُ بَعْدُ ظنوني ..

أنا بانتظار الصباحِ أصلِّي
وأخشى الظلامَ فأمَقُتُ ظِلِّي

أطلِّي

أطلِّي

أطلِّي

ومِنْ أفْقِ أفقكِ هلِّي..

أيا بعضَ بعضي

ويا كلَّ كُلِّي أطلِّي أطلِّي

## وتبقينَ يا مصر

وتبقينَ يا مصرُ
رغم الخطوبِ ، ورغم العقوقِ ،
ورغم العناء ..
ورغم افتراءِ المضلينَ والآثمينَ
جدارًا مِنَ الصخْرِ صلْدًا قويًّا
عنيدَ الإباء
وتبقى عيونُك باسمةً ،
ـ رغم أحزانِك العبقريةِ ـ
مكحولةَ الهُدْبِ بالكبرياء .

وتبقين يا مصر
أنتِ كما أنتِ ..
تسقطُ حوْلَكِ كلُّ التماثيلِ والآلهة
ويسقطُ عبَّادُ وهمِ الزعاماتِ في غيِّهِمْ،
وقد يحزن القلبُ ،
تبكي العيونُ عقوقَ البنين ،
وتحترقُ المضغةُ الوالهة ...
لكنْ يظلُّ الجبينُ الأبيُّ
عنيدًا يطاولُ وجهَ السماءِ،
وتبقي عيونُك باسمةً..
ـ رغم أحزانك العبقرية ـ
مكحولةَ الهُدْبِ بالكبرياء .

فيا مصرُ
يا غرَّةً في جبينِ الزمانِ تضىءُ،
ويا دوحةً للمحبين ..
كلُّ القلوبِ إليها تُفىءُ،
سلمْت ،
فمدِّي ظلالَكِ بالحُبِّ و الودِّ و الأمنيات
ومدِّي أكفَّكِ بالخيْرِ
مِنْ كفِّكِ الخيْرُ دومًا يجىءُ،
ويا أيها الصبر
يا كَنْزَ أجدادنا الأولين ،
ألا أيها الصبر يا عنفوانًا سرى بالقلوبِ
تفجَّرَ عبْرَ الشرايين ،
كُنْ في دمانا مرافئَ للعشْقِ والعاشقين
وكُنْ في قُرانا غطاءَ الشتاء ..

وتبقينَ يا مصرُ ..
تبقي عيونُكِ باسمةً
ــ رغم أحزانك العبقرية ــ
مكْحولةَ الهُدْبِ بالكبرياء ...

## رحلةٌ خطرة

يا ساريًا في دروبِ الشكِّ معذرةً
إلي متي ذلك الترحالُ يا قمرُ ؟
مسافرٌ مثل قلبي
لا يَقرُّ لهُ يومًا قرارٌ
ولا ينتابُك الضَّجرُ
أمْ امتطيتَ وقلبي سابحًا نَزِقًا
صعبَ القيادِ
بمن يعلوهُ ينْحدرُ
الشمسُ في عرشِها طوعٌ لحافرِه
والريحُ في عنْفِها
من ركْضِه أثَرُ ..
والذكرياتُ علي دربٍ يمُرُّ بِهِ
بعضٌ من الأمسِ
فوقَ الدربِ يحْتضرُ
والأمنياتُ يَبَابٌ خابَ طالبُها
الأمسُ ضاعَ ..
وكادَ اليومُ ينتحرُ...

رُحْماكَ يا قلبيَ القاسي
تعذِّبُني ..
أرهقْتني سَفَرًا في حلِّه سَفَرُ ..!!
ضيعْتَني في دروبٍ كنتُ أجهلُها

لمْ أدْرِ هلْ رُمتُها .. أمْ أنَّهُ القدرُ !!
ملغوزةٌ ، جهْمةٌ ،
تُودي مفارقُها ..
ينمو علي صخرِها الإحباطُ ،
يزْدَهرُ ..
كأنَّها النارُ جئناها بمعصيةٍ ،
لا الصخرُ من حرِّها يُؤوي ،
ولا الشجرُ

فارْحَلْ كما شئتَ ..
مَنْ تهوى منازلُهُ
خلفَ المدارِكِ ، دونَ بلوغِها الخَطَرُ...

إنْ تطلب السرَّ
تُفْني العمْرَ مسألةً
فرحلةُ الشكِّ لا تُبْقي ولا تَذَرُ

إنْ تسألِ الشمسَ قالتْ وهي سابحةٌ :
هل يملكُ الشيءُ شيئًا ..!!
إنَّهُ القدَرُ ..
لا تسأل الكونَ
إنَّ الكونَ حيَّرَهُ لغْزُ الوجودِ
فهل بالصمتِ تعتَبِرُ ...؟!!

يا زارعَ الأرضِ والأجواءِ مسألةً

حصادُك الشكٌّ ، والتجديفُ ، والفِكَرُ
فارحلْ بربِّك دَعْني
أيِّها القمرُ ..
غابَ الأحبةُ
لا صوتٌ ولا خبرُ
[ مستفعلن فاعلن مستفعلن فعل]
اللهُ باقٍ .. وكلٌّ بعدهُ غِيَرُ...

## تداعياتُ الليلِ والنبوءة

[١] لِديني أيا أمسياتُ الكآبة
لديني أيا أغنيات الجَفَا والملالة
لديني خريفًا عقيمًا مقيمًا ،
بهذي الحياةِ المواتِ المُحَالةِ ..
وهزِّي إليكِ بجزْعِ السنين
ليَسَّاقَط العمرُ وهْمًا فوهْمًا
ويَنْبَتُ تحتَك شوكُ الضلالة
فما تحتَ أرديةِ الليلِ من أُمنيات هباءً
تَخَفَّي عن الأعينِ العُمْي تحتَ الغُلالة

[٢] يمُرُّ بي الليلُ
أعمي يبيعُ الأكاذيبَ للمبصرين
ويسرقُ أنفَاسَهُ المتْعَبَة
يمرُّ ويتركُ فوقَ الدروبِ الغيوبِ
ملامحَهُ المُرْعبَة
ينامُ علي كفِّهِ النوْمُ ،
يحملُ في صدْرِهِ سورةَ [ الرَّعد ] و [ الانشقاق ]
وبعضَ التعاويذِ .. والاحْجِبَة..
.............................................
وما أنتَ يا قلبُ والليلُ
إلا سجينانِ

قد أَلِفَا عضَّةَ القيْدِ
ـ رغم انحطام السلاسلِ ـ
مازال خَدَرُ القيودِ القديمُ
يلُفُّ المعاصمَ ، تَسْتَعْذِبَه..

[٣] أجيءُ إليكم بما تعرفونَ
وما تنكرونَ ،
وأنطقُ في المَهْدِ :
طوبى لمن يصمتون ،
ومَنْ يُسْمِلُ الخوفُ منْهُ العيون ،
وطوبى لمن يُخْرِسُ العجزُ مِنْهُ القلم
فهذا زمانٌ بلا مرسلين
وهذا زمانُ العَمَي والصَّمَم
فإنَّ القلوبَ التي تعرفُ العشْقَ ماتت،
فمن كان في صدره الحبُّ
فلْيَرْمني بالجنون ..!!

[٤] أيا زهرةً في عيونِ السماءِ وعيْني
لماذا يحولُ الشتاءُ الجليديُّ
بيْنَكِ والازدهارِ وبيني ؟!!
ويطْمُرك الليلُ في أنْهُرِ الصمتِ ،
يجثمُ فوقَكِ هَمُّ النَّهار ،
فما أنتِ والقلبُ إلا غريبانِ
باتا علي شاطئ الحلمِ
ينتظرانِ قدومَ النهار ..

[٥] أبوحُ لعينيْكِ

ما عادَ لي غيْر بوْحي
وما عادَ لي غير عينيْكِ دار
فما تُعْطِنيه أكفُّ المساءِ
سأُنْفِقُهُ بانتظارِ النهار
وما دامَ عطرُك بالصدْرِ ،
لن يذبلَ الشوقُ فيهِ ،
ولا أستطيعُ الفرار
فمنك إليك .. يكون الفرار

## لا تركعْ

لا تفزعْ ..
إنْ كانَ الموتُ علي أهدابِ عيونِكَ .. لا تفزعْ ..
لا تحْنِ الرأسَ كمَنْ جَبُنوا
ولغيْرِ إلهِكَ لا ترْكعْ .
مُتْ مثل النخْلِ أبيًّا ،
معْتصمًا بالنُبْلِ ،
يموتُ النخْلُ علي قدميْهِ ، ولا يخْضَع .
لا تركعْ
واقذفْ في وجْهِ عدوِّكَ ما يبْلُغُ كفُّكَ،
قنبلةً أو حجرًا ،
أو فابصقْ في وجْهِ الكفرَةِ
إنْ قيَّدَ كفَّكَ خورُ الرفقةِ فاحترقَ الإصبَع .
حتى حين يجفُّ الحلْقُ
وتستَعصي بالعينِ الأدْمُعُ ، لا تجْزعْ ..
وترنَّمْ للوطنِ الراحلِ من زيفِ خرائطِهِمْ ،
والساكنِ ما بين الأضْلُع ..
كُنْ جَمَلاً ـــ يا ابنَ الصحراءِ ـــ
بوسْعِكَ أنْ تَرْعَى الشوْكَ العربيَّ،
حتى إنْ جاعَ ولم يشبعْ
سيظَلُّ الجملُ صبورًا
حين تهاجمُهُ عاصفةُ الرمْلِ ، يَتيهُ ،
ولا يحني الرأسَ ، ولا يخْشعْ ..
قد يرخي أهدابَ العينِ ليَحْميها ..

حتى تمضي عاصفةُ الإفْكِ
ولا ترجعْ ......

إلى معشوقتي

دَثِّريني ..
وامسحي عنِّي غبارَ الانتظار
هاربًا من حدِّ ألسنةِ الشماتَةِ
لائذًا بالدفْءِ في عينيْكِ
من ثلْجِ التَّرَدُّدِ والفِرَار..
وانظري .. هذي شراييني قرابينٌ
على كفَّيْكِ يا قِمري ، خضاب ..
يَكْفي ملامي ،
كم تعذِّبُني الملامةُ والعتاب ..

قد تمَطَّى الليلُ يا قَمَرية الخَدَّيْن ،
واحْتَجَبَتْ شعابُك ..
خِلْتُ أنَّك قد نقضْت ضفائرَ اللُّقيا
فجئْتُ أدقُّ بابَك
أحملُ الأشواقَ في قلبي ، وفي كفِّي السحاب
( حين تنْحَلُّ الضفائرُ
فوقَ جيدك والمناكب
ينبُتُ الليلُ الذي في حضْنِه تغفو الكواكب )
لا تظُنِّي أنَّ من يهوى لهُ يومًا مَتَاب..!!!
أنتِ في ورْدي وفي نَفْلي على كلِّ المذاهب
أنتِ في لُقيا الأحبةِ والصحاب

أنت يا قمرية الخدينِ فينا ..
كيفَ يُقْصيكِ اغْتراب ؟!!

لستِ يا معشوقتي
رملاً
ولا نخلاً
ولا نبعَ غُيوب
لستِ شطآنَ أمانٍ
لا .. ولا وديان طيب
أنتِ بعضٌ من حنايانا ،
ونبضٌ بالقلوب ..
أنت نبضٌ بالقلوب ......

## حوارات

[١] حرية :

أنتَ حُر ..
بوسْعِكَ أنْ تشْرحَ الآنَ رأيَكَ
بالصُّحف المستنيرَة ..
واصرخْ إذا شئْتَ فاصْرخْ ..
فحقُكَ في نشْرِ رأيِكَ
تكفُلُهُ المَضْبَطَاتُ
وترعاهُ كلُّ الوثائق ..
أنت حر ..
فقُلْ ما تشاءُ ..
وندِدْ بكُلِّ القوانينِ ، كلِّ الأكاذيب ..
واطْرحْ علي الناسِ كلَّ الحقائق ..
أنت حر ..
ولكنَّني أملكُ الحقَّ في الصمْتِ
والصممِ الوطنِّي ..
وعندي مَنْ يَجْدِلُونَ منَ العدْلِ
ـ للمارقينَ ـ حبالَ المشانق ..
أنت حر ..

[٢]       اتهام :

سيِّدي ..
أنتَ متهمٌ باعتناقكَ فكْرًا ..
يَحُضُّ علي الفتْنةِ الطائفيَّةِ والبلْبلَةِ ..
فالثُّقَاةُ من العسسِ الوطنيِّ
يقولونَ أنَّكَ أسميْتَ ابْنَك [ عيسى] ،
وأنكَ أدمنْتَ في الفجرِ
أنْ تقْرَأَ [ الزَّلْزَلَة ]
وأنَّكَ رغم احترافك خلْط الأكاذيبِ بالشعْرِ
شوهدْتَ بالأمسِ تنْدسُّ بين الحقولِ
وفي كفِّكَ المنْجلَة
وقربَ انتصافِ النهارِ رأوْكَ تعودُ ..
وما في يديْكَ سوى سُنْبُلة ..!!
سيِّدي ..
كيفَ تشرحُ للسلطةِ المسْألَة ؟!!
: سيِّدي ...
كيف يا سيدي تُشْرَحُ المَهْزَلَة ؟!!

[٣] شعر :

يا أبي ..
سقطتْ منك هذي الدموعُ
على رقعةٍ من ورق ..
[ كاد يغلبُني الابتسامُ
ولكنّني لم أُطِقْ ...]
يا أبي ...
كيف تبكي بهذا السَّوادِ ؟
وكيف تعيشُ بهذا القلق؟!!
قلتُ : يا طفلتي ..
لم يكنْ ما وجدْتِ الدموعُ
ولكنَّهُ الشعرُ
في الزمنِ المخْتنق ......

## مقامُ النادمين

عرفاتُ ضاعَتْ بالشذّى الدفّاقِ     فتسعَّرَتْ في مهجتي أشـــواقي

ورأيتُ أفواجَ الحجيجَ مواكبًا     ودعاؤهُم ينداحُ بالآفـــاقِ

فذكرتُ كيف قصدْتُ بابَ رياضِها     ودخلتُها في زمـرةِ العشّـــاقِ

ولدى الصخورِ الطُّهْرِ فاضَ صبابةً     قلبٌ ، وغـــامتْ بالدمـــوعِ مآقِ

فإذا الصخورُ الصمُّ تورقُ رحمةً     والنورُ يشرقُ في دُجى الأحْـــداقِ

وارتجَّ ما خلفَ الضلوعِ مهابةً     ومخافـــةَ الإعـــراضِ و الإخفاقِ

ودنتْ سماءُ العفوِ ، عطرُ فيوضِها     مسَّ الفؤادَ ، فأشرقتْ أعمـــاقي

يا ربُّ هل تكفي الدموعُ طهارةً     فتحلُّ منْ أسْـــرِ الذنوبِ وثاقـــي

لكَ يا إلهَ الكونِ ذلتْ هـــامةٌ ...     تاهَـتْ ، وأطرقَ عاتيَ الأعـــناقِ

رباه إنّي جئتُ بابَكَ نادمـًا     وطرقتُهُ ، يا قابلَ الطُّـــرّاقِ

وانْهلَّ من عينيَّ دمعُ صبابتي     نهـرًا يفـيضُ بسوسنِ الإشـــراقِ

حتى كأنَّ القلبَ ذابَ فلمْ تَعُد
بين الجـوانحِ خـفقةُ الخـــــفّاقِ

فسألتُ عيني أنْ تكفَّ دموعَها
كي لا يراهـــا صُحبتي و رفـــــاقي

فأجابني دمعُ الرفاقِ على اللِّحَى
وأذابَ دمـــــعُ صحابتي إشــــفاقي

لا تحبسِ الدمـعَ الطَّهورَ فإنَّهُ
مـــاءُ المـحبَّةِ ، والعـيونُ سـواقِ

هذا مقامُ النادمينَ ، ودمعُـهُمْ
غـيثُ القبـــولِ ، وآيةُ الإغـــداقِ

## أغنياتٌ للوطن

[١]

حين اصطفيتُ اليومَ من بين التواريخِ ،
اصطفيتُ الجرحَ والألمَ العقيمَ ..
وحسرتي بين التعقلِ والجموح .
اليومُ تعبرُهُ الحياةُ بنا تغرِّدُ أو تنوح ..
جسْرًا من الصبَّارِ تعبرُهُ الجروحُ
إلي الجروح...
وتظلُّ يا وطنَ المهانةِ
في دروبِ الخزْي مصلوبًا تصيح
قزْمًا من الصلصالِ
تُثْقلهُ تواريخُ الفناءِ ،
والفجرُ مشقوق الجفونِ ،
معلَّقٌ بين التشرنقِ والجنوحِ،
والانتظارُ الموتُ يدفعُنا
إلي سُبلِ الرحيلِ أو الجنونِ
ما بين ظهري والسِّياطِ ملامحُ الجدلِ الطموح
ما ملَّ جلادي،
ويأبي الظهرُ ــ ظهريَ ــ أنْ يبوح ..
من علَّمَ الجلادَ أرْجَحَةَ السِّياط
بعَدْلِه أعطي التَجَلُّدَ للقروح ...

[٢]

أنشودةُ الألمِ الخبيثةُ في دمي
نغمٌ من الآهاتِ
تعزفُهُ الضلوعُ
من الخليجِ إلي المحيطِ
مواكبُ الأحزانِ تفْترسُ المدائنِ والنجوع
الأمسُ يأبى أنْ يعودَ
وغَدي الذي يأبى الطلوع
ما زالَ في ديجورِهِ الأبديِّ
ينتظرُ [ اليسوع ] ..

[٣]

من المحيطِ إلي الخليجِ
من العراءِ إلي العراء
من الخيام إلي الخيام
مدنُ البَغاءِ تناثرتْ
والجوعُ يفترسُ النساء ..
ما عدتُ يا وطني أجيدُ سوى البكاء
أطفالُنا
تأتي مسومةً تجيدُ الانحناء
وخيولُنا ، زيناتُ عيدِ الارتقاء ،
وسيوفُنا مسلولةٌ للرقصِ ،
تمسَحُها الدمـــــاء
وسهامُنا مردودةٌ لنحورِنا
سهمُ العراقِ إلي العراق

سهمُ الحجازِ إلي الحجاز
سهمُ الشمال إلي اليمن
ما عدتَ يا وطني وطن ...
بل أنت ...
يمنعُني الحياء ......

[٤] فتجلَّدي يا غابةَ الصبَّارِ في ظهري
وحاذرْ ..
إنْ تَـــفُـــهْ بالآهِ يا صدري
سيقتلُكَ الألم
فخناجرُ التاريخِ في كتبِ الرواة
فانكأْ جراحَكَ ـــ أردْتَ ـــ
بزفرةٍ
لا شيءَ يعقبُها سوى المرّ الندم
اخترْتَ أنْ تحْيَا ..
فعشْ ..
أو مُتْ إذا رُمْتَ الفِرَار..
إنَّ الحياةَ الاختيار
فاخْترْ لنفسِك يا وطن ...

## قراءةٌ في سفر الوصية

وتأتيني فراشاتُ الرؤى الحُبلى
بأسرارٍ حقيقية ،
علي أبوابِ مملكتي ــ بغَارِ القَهْرِ ــ
منفردًا ..
تبسملُ أولُ الآياتِ مكيِّة
فأقرأُ في بروجِ النهرِ
مكتوبًا علي سُتُرٍ تُراثية
[ لأني قد حفظتُ الأمسَ ألواحًا وآياتٍ ..
سأوصيكُم بما أحفظ ..
وما يحتاجُه العُبَّادُ والنُّسَّاكُ
في المستقبلِ الآتي ..
فيومُ البعثِ يذكرُني بنو قومي
وفوق رؤوسِهِم تهتَزُّ ــ بينَ النقْعِ ــ
راياتي ..]

[ وأوصيكم بتقوى الله ..
وأوصيكم بنبْذِ الخوفِ والنسيانِ ،
سيأتيكم إذا خِفْتُمْ ..
جنودُ الأعورِ الدَّجالِ
ينتحلونَ ألفاظي ، وأدعيتي ،
ويلتمسونَ بابَ الخوفِ داخلكّم ،
ويندَسُّونَ بينَ الناسِ ،

يرتقعونَ أرديتي ..
فإن قالوا لكم أنّي ختامُ الوحْي
والتنزيلِ ..
لا سمعٌ ولا طاعة ..
ئدوا أقوالَهم بالحلْقِ ،
ما قالوا سوى البهتان
فشريانُ الرسالاتِ التي تمتدُّ في جسدي
تظلُّ علي المدى تتلو رسالاتي ..

وأوصيكم ..
إذا عزَّ الرغيفُ ، استطعِمُوا الجوْعى ،
وإنْ ضاقتْ بكم أرضي ، فأرضُ الغيْر ،
وافترشوا شقوقَ السِّجْنِ والتحفوا سياطَ القهرِ
ولْتتوسدوا الأنّاتِ ..
فالأنّاتُ تعطيكم جوازَ دخولِ مملكتي
فلا تأسوا علي ما فاتكم بعدي
لكم فيها بنهرِ السَّوطِ أنهارٌ من الكوْثر
لكم فيها قصورٌ لا تفزِّعُها
كعابُ بنادقِ العسكر
وإنْ متم لكم أكثر ..
لكم ما قال عنه الله
فاوصيكم بتقوى الله ...

وأوصيكم
إذا ما استأثرَ التجارُ بالفتْيا ،

وقولِ الشعر ،
وانعقدتْ لخصيَانِ المجامعِ رايةَ الشّورى ،
وحالَ الحولُ دونَ تبدُّلِ الأحوال ..
فانتظروا انعتاقَ الريحِ ،
والسحبَ الشواظية ،
فتلك قيامةُ الفقراءِ في الأسْمالِ
وفي دوامةِ الطوفان لا تسألْ
عن الأسوارِ والأغلال ..
عن القضبانِ ، والمدنِ الزجاجية ......

## مرثيةُ الوطنِ المجيدِ

من أين ينبعثُ الأنينُ ؟
من الفؤادِ ؟ أم الورق؟!!
أم أنَّ شيئًا داخلي
في غفلةٍ مني اختنق ؟!!

من أين ينبعثُ الدُّخَانُ ..
من العروقِ أم الأفق ؟!!
أم أنَّ شيئًا داخلي
من حرقةِ الألمِ احترق ؟!!

من أين تنبجسُ الدموعُ ؟
من العيونِ ؟
أم الخرائطِ والمِزَق ؟!!
من أين أبتدئُ البكاءَ ..
من الخليجِ أم العراق ؟
ودمُ العروبةِ في مفارقِنا يُراق ..
والصمتُ يُلْجِمُنا بخزيٍ مستحيلٍ لا يُطاق
وسنابكُ الخيلِ الدخيلة
في مواجعِنا تدوس
وحقولُنا العجفاءُ تزهرُ بالقنوطِ وبالشقاق ..

[ لبيك يا نخلَ العراق ]
وممالكُ الإسفنجِ في رملِ الخديعة
خبأتْ كلَّ الرؤوس ..
من أين ابتدئ البكاء ؟
من أين ابتدئ الشجن ؟

ظهري تُسَوِّطُهُ يَدُ الجلادِ من أرضِ الجزائرِ لليمن
وخروجنّا الأبديُّ
من [ بغداد ] يبدأُ أمْ [ عدن ]
وطني ..
أتشعرُ بالمصيبةِ ؟ ..
المصيبةُ أنْ تعودَ بلا وطن ..!!

وطني أتشعرُ بالمصيبةِ ؟
المصيبةُ أنْ تسافرَ في الحقائبِ ،
في طرودِ العفْشِ ،
توقِفُكَ الجماركُ ...
المصيبةُ أنْ يصادرَكَ الجنودُ
من الوثائقِ والخرائطِ ،
صارَ محظورًا مرورُك في بلادِ الله
منفيٌّ،
ومتهمٌ بإشعالِ الفِتَنْ ...!!

من أين أبتدئ البكاء ؟
[ بيروت ] دمعتُنا الوحيدةُ
أم مدائنُنا دموعٌ لا تكفكفُها المِحَنْ ؟

[ بغداد ] طفلتُنا الجريحةُ
أم عواصمُنا جميعًا في الكَفَنْ ؟
و[ القدس] حرمتُنا المباحةُ
أم مساجدُنا جميعاً تُمتَهَنْ ؟!!
الخرْقُ متسعٌ علي شعري ..
الخَرْقُ متسعٌ بأبعادِ الوطن ..!!

الليلُ مركبتي
وأفراسي .. قصائدُنا المعادةُ ، والحَزَنْ ..
والحزْنٌ سوْطٌ في يدِ الإلهامِ
يُلْقمُني النشيد...
في لحظةِ الحزنِ المباغتِ نُكِّستْ كلُّ البيارق
[ لبَّيْكَ يا وطنَ العروبةِ
كلُّنا نفدي الحما
لبيك واجعلْ من جماجمنا
[ لغَيْرِكَ ] سُلَّمَا ..!!]

كلُّ القصائدِ بالحصونِ ..
وفي خنادقنا القصائد
وتساقطتْ نقطُ الحدودِ كما القصاعِ علي الموائد
كلُّ الكلابِ تَبُولُ فوقَ حوائطِ الوطنِ المجاهد
وأنا بسوطِ الشعْرِ .. لا أدري .. —
[ تفرّقتِ [ الكلابُ ] على[ خداشٍ]
فما يدري [ خداشٌ ] ما يَصيدُ ..]

أواه للوطنِ المجيد

من المحيط إلي الخليج

تساقطتْ منكَ البنود

واهتزَّ في دمعي امتدادُكَ، وارتفاعُكَ ،

والحدود ،

الدمعُ تمقُتُهُ القصائدُ كالرجال ،

الدمعُ تمقُتُهُ الخُدود ،

كلُّ الحروفِ تبعثرتْ

أتُراكَ تبدأُ ؟ ..

أمْ أُعيدْ ......؟

## قصائد قصيرة

### فراشـــــة :

فراشتي التي أحبُّها
وتعشقُ الزهورَ والعطور
وتعشقُ اَلأَلَقْ
يشدُّها الضياءُ بالفتونِ
لرقصةِ النَّزَقْ
يا ويْلَها
حبيبتي غريرةٌ ،
جناحُها احترقْ ......

### مـــــن ؟:

جاءَ إلي بيتي
مكلومَ الشفتيْن ، عليلا ،
يسألُني طِبًا ،
أعياهُ الجرحُ ،
وأسقمَهُ التأويل ..
دقَّ علي بابِ الصمتِ الهشِّ ،
تهشَّمَ زهرُ الضِحْكِ المكتوم ..
تساقطَ ،
وانطفأَ الوَهَجُ الحيُّ ،
فأسبلْتُ الأهدابَ علي وجهِكَ
ولفظتُ سؤالي : من ؟
ورحلتُ .. رحلت ......

إلى من لم يكن :

كنتَ بخلدي حلمًا ..

طيفًا ، خيطَ حياة ..

اسمًا يورقُ فوقَ شفاهٍ نطقَتْكَ كثيرًا ..

همْسا همسا كنتَ ..

ولكنَّك ما جئتَ ..

كنتَ الثالثَ بين اثنين

ودمتَ..

أعددنا بين مراقدِنا من أجلِكَ شبْرًا

حين تنامُ أنام ..

أمدُّ الكفَّ أداعبُ وجهَكَ

ألمسُ شَعْرَكَ

أتحسسُ نبضَ عروقِيَ عندَكَ

أغمضُ عينَيْكَ بشفَتي..

أحلمُ ..

أحلمُ أنَّكَ سوفَ تكون ..!!

لكنَّك أبدًا ما كنت ..

..............................

ما أبشعَ أنْ نزرعَ أشجارَ الحلمِ

علي أرصفةِ الترْحال...!!

## تأملات

ما الذي يدفعُ القلبَ للحزْنِ
موتُ الثُّرَيات ..
أم خروقُ الشِّراع؟
أم ترى فقدُ سُفْني
أمْ أنَّهُ الماءُ ، أمْ زبدُهُ ،
أمْ رمادٌ تمُجُّهُ الأرضُ همًّا
في عيوني
فيأخذ الشمسَ منِّي ؟!!

شاعرٌ أنا رغم خوفي
ورغم صمتي أُغنِّي
ما الذي يقتلُ الشعرَ في داخلي
هل هو الخوفُ
أمْ أنَّهُ الجوعُ
أم تراه اهتراءُ الحروفِ الذي غَالَ لحْني ؟!!

في عيوني أراكَ نقطةَ وهمٍ
فوق سطرِ السماءِ
مُبْهمَ الشكلِ ، واضحَ القَسَمَات ..
يزرعُ الظنُّ في عيوني سؤالاً :
راحلُ أنتَ .. أم تُرى أنتَ آتٍ ؟!!

## شتاء

يا لقلبي ..
أتبعثُ القلبَ حيًّا ،
بعد أنْ ماتَ ، نظرةٌ عجلاءُ
بعد هذي السنين يخفقُ قلبي ..
بعد ثلجِ المشيبِ يحلو الغناءُ ؟!!
إنْ تذُقْ سكْرةَ المحبةِ لمَّا
يذهب العمرُ ، والمنى ، والثراءُ
لن ترى في الحياةِ معنىً لشيءٍ
فالحياةُ .. الجحيمُ .. أنتَ ..
سواءُ
الخريفُ اللعينُ يغتالُ صبْري
فيمَ كانَ العذابُ ؟ فيمَ العناءُ؟
أحبسُ الدمعَ بالعيونِ لئلا
تبصرُ الدمعَ في العيونِ السماءُ
كيف يبكي الرجالُ ..
مهما أصابتْ منهُمُ الحادثاتُ ؟!!
تبكي النساءُ
كم حبستُ الحروفَ فوقَ لساني
أنْ يظنَّ الرقيبُ بي ما يشاءُ
علقمُ الصمتِ بالجوانحِ يكوي مضغةً
شفَّها هوىً وادعاءُ
أينِ أمضي ؟
كلُّ الدروبِ عيونٌ لائماتٌ

تكاثَرَ الأعداءُ
يرْجِفُ القلبُ إنْ غدوتُ وحيدًا
ليس يجدي عن العيونِ اختفاءُ
فهي في غفوتي برازخُ سحرٍ
وهي في صحوتي ــ بعيْني ــ ضياءُ
إن تغبْ لحظةً
يمتْ كلُّ شيء في حياتي
ويستقر الفناءُ
وإذا بالحياةِ موجٌ مخيفٌ
فيه تخبو المنى
ويبْلى النداءُ
جزرُ الثلجِ تحتوي كلَّ نبضٍ
في كياني ،
يهدني الإعياءُ
ضاعَ منّي الطريقُ ،
ضلَّ سفيني ،
وشراعي ترُجُّهُ الأنواءُ
أرتمي على شطِّ عينيْكِ ..
مالي من ملاذٍ سواكِ
مالي غطاءُ ..
دثّريني ..
فما لقلبي احتمالٌ
أنهكَ القلبَ صبوتي والإباءُ
لائذًا بالربيعِ فيكِ فإني
بعد عينيْكِ
كلُّ عمري هباءُ .

## ثلاثةُ مقاطع إلي سليمان خاطر

[١]

الآنَ أغمسُ إصبَعي
في جرحِ قريتنا وأكتُب ......
إنـي أحاولُ أنْ أعيدَ الأحرفَ المطاطَ
للغة السيوفـ ،
وأطرحَ الجُملَ المزوَّقَةَ المنمَّقَةَ التي
تختالُ فوق صحائفِ التزييفِ
واللغةِ الرماد ..

إنـي أحاولُ أنْ أعيدَ النورَ قسرًا..
للعيونِ المطفأة .
إنـي برغم خيانـة اللغةِ الرماد
ورغم أعناق الحروفِ الساكتات مطأطئة
وبرغمِ جحفلهمْ وأعينـهمْ
غمستُ الجرحَ في دمـعِ القرى ،
وكتبتُ ،
ما قدرتْ جحافلُهُم على وأْدِ الرسالةِ ..
فالرسالةُ كامرأة
وهُمُ كعرْبِ الجاهلية
يكرهونَ ولادةَ الأنْثى
ولو كانت رسالة ..
ورسالتي ولدتْ علي كفيْكَ يا ولدي
برغمِ مخاوفِ الفرعونِ ،
رغم حصارهِم تتسرَّبُ الكلماتُ

تنسلُ الحروفُ إلي مضاجعِهمْ
فتزرعُ في عيونِ الآثمينَ الخوفَ
تنبتُ فوقَ ألسنةِ الطغاة الصمتَ ،
واللغةَ المحالة ..
الآن رغم حصارهم تعْشَوشِبُ اللغةُ الهشيمُ
أوضىءُ الجُمَلَ الوليدةَ والحروفَ المنشأة ..
كي يستقيمَ الصفُّ ..
قد أذَّنتَ في قلبي
وفي أذنِ البلادِ الخاطئة

[٢] [ أكيادُ ] تعلمُ أنَّ [ ستَّ الحُسْنِ ] *
قد حلَّتْ ضفائرَها
فأشرقَ فجرُ جبهتِها
فضاءَ الصبْحُ في كلِّ الدروبِ المُعْتمة
[ أكياد ] تعلم أنَّ [ ست الحسن ]
قد شقَّتْ صدَارَ الشوقِ
ضاعَ المسكُ في كلِّ البيوتِ المُحَرمَة
[ صلوًّا علي طه الرسول ]
صلَّتْ عليه وسلَّمَتْ كلُّ الشفاهِ المُسْلمَة
[ أكيادُ ] تنظرُ للطريقِ حييَّةً
ـ لم يأت بعْدُ عريسُنا
ـ [ زِفُّوها زِفُّوها
للعريس ودُّوها ]**
زرعوا لمقدمه المداخلَ والمخارجَ بالجنود
غنَّي لهُ صوتٌ خفيضٌ لعجوزٍ ساهمَة :
[ وافرشْ لَهْ يا مزيِّنْ
علي حرير أخضر ولِفْ لُه العمَّة

كلَفَّة العسْكر ............] ***

فرشوا لهُ دربَ المقابرِ بالبنادقِ والحشود .........

[٣]

الآن أفتحُ في جدارِ الصمتِ نافذةً
علي جرحِ التلال
عطرُ الحدائقِ لا تطوِّقُهُ الجنود
والنهرُ تدفَعُهُ السدودُ إلي الغَضَب ..
فيغادرُ الشُّطْآنَ ..
منقلتًا إلي مجرىً جديد ..
والبحرُ كالأطفالِ
يستعصي علي رملِ الحصار
في عينِ كلِّ صبيَّةٍ
زرعوا التفاتَكَ للسؤال
والدهشةَ الخرساءَ في عينيْكَ ،
في عيني، في عينِ الصِّغار ...
كان السؤال :
ـــ هل أنتَ أطلقتَ الرُّصاصَ ؟
ـــ أنا ؟ نعم ...
وارتجَّ في عينيْكَ ، في عيني شيء كالدُّوار
كانت أصابعُ قريتي فوق الزِّناد ..
فمن تُراهُ المتَّهم ؟!!

* أكياد قرية مصرية مسقط رأس الشهيد سليمان خاطر.
* ست الحسن شخصية أسطورية شعبية.
** أغنية شعبية عربية للعرس.
***أغنية شعبية للختان

## موسيقى من العمق

مِن العمقِ أبحثُ عن فرجةٍ في دَمِ الماءِ
تأخذُني للتنفُّسِ
من حيث يلتحمُ الماءُ بالطينِ
تنبعثُ الصرخاتُ ، الرؤى،
والتهاويمُ تنسابُ بين الطحالب ..
تطلُّ رؤوسُ الشياطينِ
مجدولةَ الشَّعرِ بالوهمِ
تجهضُ كلَّ الأجنةِ في رحمِ الأمنيات ،
وتغمضُ بالصمتِ جفنَ الكواكب ..

يوشِّحُني البردُ بالارتعاشِ ،
وتوجعُني النسَماتُ الخفافُ ،
وتدمي أناملُها الجرحَ
لا تستفزُّ الشرايينَ فيها الكهارب .
فمن يشعلُ النارَ في عفنِ الماءِ
ينقذُني من فصولِ البلادةِ ،
فالحسُّ غائب ..
ومن يفْسِقُ الروحَ من حالةِ اليتمِ ،
يلفظُني الطلْقُ سقْطًا نؤمًا
كثيرَ التثاؤب
وممزوجةُ الدمعِ يا أعينَ الناسِ بالنومِ ،
منفيةٌ في القصورِ الغياهب

ومن يقتلُ الأفعوانَ الذي
جاءَ من حيث يلتحمُ الماءُ بالطينِ
في داخلي كل هذا التَّعَفُنِ !!
في داخلي كل تلك المذاهب ؟!!

فيا حيرةَ النفسِ
فصلُ التقلُّبِ باقٍ
فمن يخطفُ القلبَ من غَدِهِ
[ الممات] فيهِ المشاغب
فإني وهذا الفؤاد مياهٌ وطينٌ ..
وهذي التفاعيل بعضُ الطحالب ..

عيونُ التماسيحِ مفتوحةٌ في عروقي
وكلُّ الذي قيلَ من قبل
ملقىً علي القاعِ
يخدشُ بطنَ القوارب
ويدفعُهُ الماءُ للسطحِ ،
يطفو بعيني ،
يطوحُهُ الموجُ نحو الشطوطِ الترائب
وينبتُ في داخلي
كل يومٍ
شقيٌّ من العمقِ هارب ..!!
فإني وموج التفاعيلِ
صُمْنَا عن القولِ في أذنِ الناسِ
نلقي إلي العمقِ تلك العقارب ..

مِن العمقِ يأتي إلي الناسِ هذا الظلامُ
وهذا الكلامُ الفتيُّ المعاند
وقد يَذْهب النورُ ،
تمتصُّهُ الأعينُ السودُ ،
لكنْ ..
سيبقى الظلامُ مدى الدهرِ صامد .

فمن يجهل النهرَ
يجري بأعماقهِ السودِ ، جاهل ..
ومن يُنْكر الماءَ والطينِ ،
ـ في أعينِ الناسِ ـ جاحد ..
فطوبى لمن يعشقونَ علي الغيبِ سرًا
وويلٌ لمن يطلبونَ الشواهد..!!

## قريتي

أنــا يا فتنــةَ العشـــّـاق
مأخـــــوذٌ بنـــاصيتي
تموتُ علي شــفاهِ البوْحِ
أشــــــعاري وأمنيتـــي
فمنـــذُ رحلتِ قد رحــلتْ
عن الأوراقِ أخيـــلتي
تغادرُني جيـــادُ الشِّـــعرِ
مــذْ غادرْتُ فـــاتنتي
وتطرحُني بوديانِ الصدى
أصـــــداءُ أســـئلتي

أنا من طينكِ المعطاءِ يا أمي و قابــلتي
أنا من دوركِ السمراءِ أقْبسُ لــحنَ أغنيتـي
ومن أشجاركِ الخرساءِ أنحتُ أحرفي لغتي
وفي عينيْكِ مُلْتَمسي وفي عينيْكِ أجوبتي
ومن كحْلِ العيونِ الطاهراتِ دموعُ محبرتي
وَدَدْتُ اليومَ لو جاءت دروبُكِ تحت نافذتي
فتفتح طاقةَ الإلهامِ في جدرانِ أوردتي

## الأسئلة

لماذا؟ وأين ؟ وكيف ؟ متي ؟
متي تنتهي الأسئلة ؟
ينامُ المساءُ
وتسهرُ في أعيني الأسئلة ..!!

طوال النهار ، تقابلُني الأسئلة ،
تقاتلُني الأسئلة ..
وتصرعني فوق وهمِ الإجاباتِ مستبسلَة

ويلجمُني الخوفُ ،
تعثُرُ فوقَ اللسانِ الحروفُ ..
بحيْرتها القاتلة
متي تنتهي الأسئلة ؟!!

يسائلُني النهرُ
أين حدودُ الشواطئ ؟
يسألُني الشطُّ عن وجهةِ النهرِ ،
يسألُني الماءُ عن كبرياءِ الزوارقِ
حين يلاطمها الموجُ
تسقطني الشمسُ ظلاً علي الأرض
مُتَبَهمُ القسمات ، يطولُ ويقصرُ ،
أعجزُ عن فضِّ أسئلةِ الكونِ ،

تهربُ منِّي الإجاباتُ ،
لغزًا أصيرُ،
تقاذَفَني أبجدياتُ هذا الوجودِ المحيِّرِ
أصمتُ،
فالصمتُ قشَّتُنا
حين يلجمُنا الشكُّ بالعجْزِ
حين يموتُ الحديثُ الوليدُ بلا تَكْمِلَة...

## الحصار

تحاصرُني في الطريقِ الأكاذيبُ
تدَّعي أنني استلذُّ الفِرار
تحاصرُني في الطريقِ المرايا
تضلِّلُني عن خطوطِ المدار
تحاصرُني الجُنْدُ إنْ قلتُ يومًا أحبّك ،
قد أصبحَ الحبُّ في زمنِ الوهمِ والتُّرَّهاتِ انحدار

رغم هذا الحصار
أنت في داخلي رغم هذا الحصار ...!!

لحنُ أهزوجةِ النومِ أنت
عاطرٌ الذكريات ، النهارْ ،
ابتسامةُ طفلِيَ ، لثغتُهُ ،
دفءُ مخدعِنا والدِّثَار ..
عرقُ الكادحِ المستجيرِ بشمسِ الأمانيِّ
من زمهريرِ الفصول ..
قمرًا كنتُ وقتَ الأفول ..
صرتُ في مقلتيْك محاقًا ،
إنْ تواريتَ خلفَ التوابيتِ أبحثُ عنْكَ بصدري
فتلفظُني زفرةُ الانكسار .

أنامُ على قدميَّ كنخلكَ حينَ ينامُ
فحين ارتحلتُ
تخليتُ عن معظمِ الذكرياتِ
وصادرها الجُنْدُ عندَ المداخلِ
تاهت علي كلِّ بابٍ دققْتُ عليْهِ
ابتسامةَ طفلي
لم تعد ترتفع كفُّهُ بالتحيةِ عند السلام ..

والشتاءُ غَدَا في الفصولِ مشاعًا
فكلُّ الفصولِ شتاءٌ ،
وكلُّ الدروبِ مُتاهة ،
وكلُّ البيوتِ سواء ..
أين ضاعَ الذي ضاعَ ..؟
الذي ضاع مَنْ ؟ أنتَ أم نحْنُ ؟
أم كلانا مضى تائهًا في الزحام

لا تجبْ
قد سئمْتُ الحروفَ الخئونةَ
قد ملَّ سمعي كلَّ الوعود
ما مضي قد مضى وانقضى الأمرُ
حالَ الزمانُ الرديءُ الذي جاءَ بيني وبينكَ
لا عاصمَ اليومَ من رحلةِ اللارجوع
غادرتْني القرى والنجوع
رغم أني رفضتُ اقتلاعَ جذوري من الأرضِ
رغم القلوع

ـ التي لوَّحتْ في عيوني ـ
رغم ما يحتوى البحرُ من أمنيات
رفضْتُ الخضوع ..

أمدُّ جذوري بعمقِ ترابكَ
أرتشفُ الصبرَ
أقتاتُ بالذكرياتِ ،
يدفِّئني الصبرُ
يلمعُ في أعيني الفجرُ
لا استلذُّ الهُجوعَ ..
فكنْ ما تكون ..
فأنتَ كما كنتَ ، لا مثلما يأملون ،
ضياءُ العيونِ
وشمسُ النهار
أنتَ في داخلي
رغم هذا الفرار ...!!

## رباه .. يا رباه

الليلُ لفَّ ديارَنا بِدُجَـــاهُ ... والبدرُ غادرنا وغابَ ضياهُ
والدربُ خاتَلَنا فبِتْنَا لا نرى ... أنسيرُ في يمناهُ أمْ يسراهُ
واثَّاقَلَتْ فوقَ القلوبِ همومُها، ... وترددتْ بين الضلوعِ الآهُ
يا ربُّ هل للكربِ من متنفسٍ ... فالصدرُ ضاقَ بكلٍّ ما أخفاهُ
هذي جموع الشرِّ في أوطاننا ... تاهتْ ، ومن حملوا الرسالةَ تاهوا
تركوا كتابَ اللهِ خلفَ ظهورِهم ... وتنابذوا ، وتحـــاكموا بسواهُ
وأَذَلَّنا الشيطانُ حتى ردَّنــا ... شيعًا ، وألبسَنا بغيضَ رداهُ
فإذا القبائلُ من جديدٍ جـرَّدتْ ... سيفَ القبيلة واحتمتْ بحماهُ
وتشعَّبَتْ بهمُ الدروبُ ضلالــةً ... خـــسرَ المُضَلِّلُ بِــرَّهُ وتُقاهُ
حتى إذا ضاعَ الطريقُ وزُلْزِلتْ ... بالســـالكينَ سهـولُهُ وذراهُ
شقَّ النداءُ سماءَ لطفكَ هاتفــًا ... ربـــاه يا ربـــاه يا ربـــاهُ
فتبددت سودُ الهمومِ وأشرقتْ ... بين الجــــوانحِ فرحـــةٌ لنداهُ
الله أكبرُ ، أمـــتي لا تيأسي ... وتمســـكي بكتابِـنا وهـــداهُ

## الطلوع

قادمٌ
رغم ما يثقلُ الخطوَ
من مستبدِّ القيودِ ...
قادمٌ
لا توقفُني لافتاتُ التمزُّقِ
أو مَفْرَزَاتُ الحدودِ ،
ورغْم انشقاق الطريقِ
إلي الطرقِ الرملِ ،
والطرقِ الأفعوانِ ...
فإنَّ اكتحالَ العيونِ بحسنكَ
لا يترك القلبَ للتيهِ ،
يرزقُهُ الاهتداءَ إليكَ ،
برغم انشطار الطريقِ ،
ورغم القيود .

يا ساريًا في دمِ الليلِ ،
استنْطِقُ النجمَ دربَك ،
رغم انطفاء النجومِ بعيني
إذا اشتدَّت الريحُ
أيقنتُ أنَّ الطريقَ بنا لا تحيدُ ..
وحين يلاطمُ وجهي كفٌّ الرياحِ الخؤونةِ ،
عاصفةُ الإفْكِ ،
أوقنُ أنِّي علي البابِ
أرفعُ في الكفِّ كلَّ البنود .

## طفلةٌ بربرية

وما زلتِ ساحرةً رغم أنفِ السنين ..
وما زلتِ ـــ قاهرتي ـــ
فتنةً تستبدُّ بعشاقِها الطائعين..
وما زالَ ميدانُ جدي [ الحُسيْن ]
يضجُّ بأدعيةِ الطيبين
وتكتظُّ فيهِ الأزقةُ بالبائعينَ لمن يدفعون ،
ولكنْ ..
تغيّر فيك الكثيرُ ..
فبسمتُك الآنَ ثلجٌ ،
تذوبُ سريعًا ،
وما عادَ ضحكُكِ يخرجُ من قلبِكِ الآنَ ،
في صدرِكِ الآنَ همٌّ دفين ..

وهذا اللهاثُ اللعينُ الذي
يخطفُ الأصدقاءَ
ويتركني في دروبِ الملل
يقاسمني الجوعُ نصفَ الرغيفِ ،
يقاسمني الصمتُ نصفَ النهارِ ،
يقاسمني الخوفُ كلَّ المساء ..

ومن أين ينبعثُ الخوفُ والحزنُ ؟
كيف يصبُّ بأعينِ أطفالك التائهين ؟

وكيف يشيخُ الصغارُ صغارًا
وما مرَّ من عمرِهِم
غير هذا النهار ، وبعضُ السنين ..

لقد كان لي فيكِ يومًا فتاةٌ
هي الشعرُ ،
والحسنُ والانتماء .
وكان بأحضانِها النهرُ يُمْسي ،
وأهدابُها شجرُ الليلِ ،
ضحكتُها شهقةُ الفجرِ فوقَ المآذن ..
وكانت [ سلافُ] إذا جئتُ
تأخذني من يدي
تطوِّفُني في رواقِ النهارِ ،
وتُدْخلُني في محاريبِ عشقِ المساءِ .
فأسجدُ من سكرةِ الوجْدِ
فوق الطريقِ لربِّ السماء ..

وجئتُ
و ما كان فوقَ الرصيفِ
سوى القزع المُبْهمِ المستطيرِ ..
لمن تتركين يدي يا [ سلافُ ]..؟
ويقذفني الموجُ فوق الدروبِ ..
التي زُرِعَتْ بالخُطي العاجلة ..
فأين[ سلاف ] ؟
وأين السماء ؟
وما هذه الضجَّةُ القاتلة ؟

ترى هل تغيرتِ ؟
أم أنّني
أضعتُ بإحدَى القطاراتِ
ذاكرتي والهوية ؟
فما غبتُ عنكِ سوى بعض يومٍ
وما عدتِ قاهرتي الفاطمية
فماذا تغير فيكِ وفيّا ..
ومن تلكمُ الطفلةُ البربرية ؟......

## منازلُ الهُيام

**مدخل .........**

لأننا لم نرتكبْ حماقةَ الوداع..

**نظلُّ لحظةُ اللقاءِ حاضرة**

**نظلُّ مُفْعَميْنِ بالتلامسِ اللطيفِ ،**

**والعناقِ ، والمخاصرة ..**

**يظلُّ شمعُنا علي موائدِ اللقاءِ مُشْعَلا**

**بالدفءِ والحنان......**

**يظلُّ في عيونِنا**

**ما تتركُ الأحلامُ من رؤىً**

**تضمّخُ الوجودَ بالرضا ،**

**وعشقُنا الوليدُ ما يزالُ رائعًا**

**كأوّلِ الزمان ..!!**

## منازلُ الهُيام

[ ١ ]

أنزلني عشقُك و غروري

منزلةً بيْن المنزلتيّن ...

لا بالمعصية إلي الهجرِ أصيرُ

ولا يهدأُ قلبي بوصالك...

وعلي الأعرافِ وقفتُ يظللُني أملي ...

ويخاطبني حسنُكَ؛

فيجيبُ التوْقُ :

( سمعنا وأطعنا ... )

فاشْملْنا بفيوضِ رضائكَ

أيا من يعفو حينَ رضاهُ ويغفرْ.

[ ٢ ]

صادفني ...

مندهشاً كان ؛

تحسسَ فيضَ رضاكَ بقلبي ،

كنتَ تفيضُ عليَّ من النعمة

قلتُ لمن سألوا عن دربك :لا أدرى ...

لا أدرى كيف وصلتُ ...

ولكن حين احتجب بهاكَ

سألتك نوراً ،

فأضأْتَ ظلام القلبِ بوصلٍ

ردَّ إلي العاشقِ لبَّه...

فأنابَ ...

وتابْ.

[ ٣ ]

مدهشةٌ أحوالُ العشاقِ !!

وفاتنةٌ محبوبةُ قلبي... !!

تتجلى بصفاءِ السرِّ

لمن ذابوا عشقاً؛

تجذبهم...

فيصيرُ العُشَّاقُ جميعاً

قلباً ملتاعاً ...

ولساناً .. حالاً

وعيوناً سكرى..!!

........................................

وأصيرُ بمنزلتي عندكَ معشوقاً...

مدهشةٌ أحوالُ العشَّاقِ

وفاتنةٌ محبوبةُ قلبي............

أسيوط ١٩٩٩/٣/١٠

## منتهى

[ منتهى ]
طفلةٌ من حرير المواعيدِ
لافتةٌ عند مفرقِ شهوتنا والرضوخ..

.................................

[منتهى ]
مدخل السرمديةِ ؛
كنزُ الوجودِ القديمِ
وذاكرةٌ لاكتشافاتنا الأوّليةِ
والبهجةِ الغائبةْ.

.................................

حين تفتّحُ في الصدرِ نافذةً للبراءةِ
لا شيءَ يمنعها أنْ تغوصَ إلي القلبِ
كحلُ أَجفانها موثقٌ من قديمِ المواثيقِ
يعطي لعشاقها المغرمين النهاراتِ...
تأشيرةً بالدخولِ إلي مطهر العشقِ...
تغرسُ في مفرقِ البوْحِ
شوكَ التلعثمِ والاشتباك.

.................................

[منتهى]
حكمةُ اللغةِ العبقريةِ ...
حين يداعبُ إيقاعها الأنثوي الفحولةَ في الشعرِ..
تصمتُ كلُّ القصائد
تطرقُ قافيةُ [ البحتريِّ ] ؛
ويعطي [ ابن هانئ ] معطفهُ للقصيدةِ...
لكيْ يسترَ الصمتُ
عرى القصائدِ والأغنياتْ.
[منتهى]
حين تسكنُ خطوتها أبحرَ الشعرِ
يفتضحُ الشعرُ
يلتبس الشدوُ في ألسنِ الطيرِ،
تهتزُّ كلُّ الغصونِ ...
ويسَّاقطُ البردُ الساحليُّ ،
فلا يطفئ الشوقَ ماءُ الوجود..!!
وتبقي علي شفةِ البحرِ
أصداءُ صرختهِ:
منتهى .. منتهى .. من .. تهى ..تهى .........

أسيوط ١٩٩/٥/٦

## خالتي بخاتي

إنها خالتي ..
واحدةٌ من بناتِ القبيلة
رأسُ النساءِ ببوابةِ الأهلِ ،
عزباء عاشت ..
وماتتْ بلا أملٍ في الزواج.

خالتي لم تزرْ قبرَ سيدنا المصطفي ،
( عليه الصلاةُ وخير السلام )
وكانت تصلي عليه بمفتتحِ القصٍّ دوماً،
وكانت تصومُ ،
ولكنها لا تصلي،
وتؤمنُ أنَّ الإله الرحيمَ،
إلهٌ غفورْ.
لم تبتْ ليلةً في فراشٍ وثيرٍ،
علي الأرضِ كانتْ تنامُ..
شتاءً وصيفاً..
وكانت تدوسُ علي الأرضِ حافيةً..
فالعقارب تخشى خطاها ..
وكانت تدبُّ علي الأرضِ دباً..
بكلِّ الدروبِ وبين الحقول .
كالعفاريتِ أثوابُها السود مغسولةٌ بالسواد.
فقدتْ في مراحِ الطفولةِ عيناً،

وشيئاً فشيئاً..
تسربَ نورُ النهاراتِ من عينها المبصرة.
لم تكنْ قادرة
أنْ تميّزَ بين العيالِ،
من الصوتِ تعرفنا..
فتنادى علينا بأسماءِ أقرانها الأمّهات..
يا ابن أمينة .. يا ابن سعاد ..
وأزعمُ أنّ بخاتي وحتى الممات ..
لم تذقْ غيرَ ما تطرح الأرضُ في قريتي من ثمار !!
مثلنا تأكلُ العيْشَ من ذرةِ القيْظِ بالْمشِّ
كانت تسائلنا :
كيف يحتاجُ خبزُ العلامةِ للجبنِ أو للغموس؟!!

لم تكنْ تستطيبُ سوى الشاي،
والقصصَ المستحيل،
في رأسها تسكنُ الأغنياتُ القديمةُ..
من سير الأقْدمين..
(أبو زيد).. ( عنترةَ) المستهام بعبلٍ
و( سيدة الحسنِ) ..
كنز المواويلِ والأحجيات ..
[ ... كان ياما كان..
ما يحلو الكلام ..
إلا بذكر المصطفي ..]
ثم تهمسُ بالصلاةِ وبالسلام...
وينسابُ نهرُ الحكايا .. الطويل .. الطويل ..

في الجنائزِ تلطمُ وجداننا بالعديدِ
ويدهشنا حزنُها العبقري الأليم..
هي لم تعرف اليتمَ ..
لم تفقدِ الطفلَ والزوجَ !!
من أين تغترفُ الدمعَ؟
كيف تدفقَ هذا العديدُ المريرُ؟
وكيف تفجرَ هذا البكاءْ؟!!

من بخاتي قبسْتُ الجنون الجميلَ
ومازالَ حزنُ المواويل
خنجرةُ بالفؤادِ يغوصُ .. يغوص..
ومازال قطرُ الغناءِ الجميلِ
ينبتُ في الروحِ فاكهةَ الشعر ..!!
كيف تسربَ هذا الأريجُ إلى الصدر؟!!
كيف تخلّقَ هذا الغرامُ الأبيُّ النبيلْ؟!!

بعد أن ينتهي الليلُ من دسِّ خوفِ العيالِ بأحضانِ جدّاتهم،
يختلي الطيبونَ علي سرَّةِ الليلِ بالطيبات ..
عندها..
تختلي خالتي بالمعسّلِ معشوقها
بعيدًا عن الأهلِ، عن أعينِ النّاسِ..
في حجرةٍ من رواق قديم..بعيدٍ .. بعيد..
تقرقرُ ( جوزتها) بانسجام ...
كنّا نشمُّ الدخانَ فنرصدُها من شقوقِ الجدارِ:

بخاتي تعسل ..!!
تشتمنا بالقحابِ اللواتي حبلنا بنسل العفاريت
حتى تكح..
فنضحكُ .. تضحكُ ..
تقذفُ ملءَ يديْها من الحشفِ الفجِ والتمْرِ..
نهرعُ نبحثُ في ظلمةِ الليلِ
عن تمرةٍ من تمورِ الرشاءِ..
لنغلقَ أفواهنا عن حديثِ الدخان
أمامَ الرجالِ وبين النساءِ ...
وكي لا تغلِّقَ في وجهنا– خالتي –
جنةَ الشعرِ والقصصِ المستحيل
طوالَ الشتاءْ.

أسيوط مايو ١٩٩٩

## موقفُ السندباد الأخير

واقفٌ ..

بين غيب المتاهةِ والبحرِ ...

ترفعُ أشرعةً مزقتها الطموحاتُ،

والريحُ

أودى بها الجوعُ والخوْفُ...

والملحُ والانكسار.

*

واقفٌ ..

بين حتفِ المجاعةِ والصبرِ،

معتصماً بالنبالة،

تكنزُ بالصدرِ أزمنةً من عقيقِ الفتوحاتِ

والغزوِ والانتصار.

كنتَ تمضي بدربِ التغرُّبِ ..

مصطحباً وجهها..

حيثُ ولّى بك البحرُ

وليْتَ وجهكَ قبلتها ..

وانْثنيْتَ ترتلها في صلاتك

مستفتحاً باسم من أسكنتْكَ العذاباتِ

والتوْقِ......

فاتحةَ الانتظار.

مستحيلٌ خروجُكَ من لجَّةِ الليلِ والتيهِ
فالبحرُ أضحى بلا شاطئيْن..!!
وأنتَ تناورُ بالفلكِ وحدكَ،
منفرداً باشتياقك..
منعزلاً عن حدائقِ بهجتها المستباحةِ،
عن نخلها ،
عن شهيقِ المواويلِ في نايها والنهار.
وحدك الآن والماء..
لا شيءَ في كفّتيْكَ سوى الخشب البللَ الماءَ،
والعطش السرمدي الدوار.
لا شيء غير كنوز يواقيتها بالتواريخِ
حين وسَّطها الجندُ
وامتصَّ درَّتها الأمراءُ المماليك ..
علَّقها الغزُّ أيْقونةً
في بلاطِ الطواغيتِ للاعتبار.
التواريخُ في دفترِ الأقدمين
يجللها الدمعُ والخوفُ والاحتضار .
التواريخُ مشنوقةٌ في رواقِ ارتحالكَ..
منذُ تقلَّدتَ شعركَ
معزوفةً في الزمانِ البوار.
*

إيهِ يا سندباد البحار ..
أي شطآنك السبع يخرجك الآن
من فلك القصْدِ
يرميكَ في دوْرةِ الارتداد؟!!
وأي البدور الحواملِ بالكشفِ
راحتْ تراودُه الأمسياتُ الدميمةُ عن ضوئه
بالرماد.
في الزمان الذي غادرَ البحرُ شطآنهُ ..
تستطيلُ المسافةُ
يمتدُّ حدُّ المتاهةِ حتى طموحِ الحضورِ
وحتى حدودِ الغياب.
*
ربما يسقطُ المطرُ المستحيلُ ، نزيفُ القصيد...
علي شفةِ الموْجِ مخْتلطاً بالمداد.
إنَّهُ الملح ...
يسكنُ أقبيةَ الروحِ ،
شطآن جرحٍ ينامُ علي دَرَجِ القلبِ
ملتبساً بالطموحات،
متشحا بالعناد.
كيْفَ يا سندباد؟!!
كيف يدخلك الأمنُ رغم الرحيلِ البهيمِ؟
ومن أي بحرٍ من الأبحرِ المهلكاتِ
يجيءُ الرشاد؟!!

ليس سهلاً علي العابرين من الجمرِ للجمرِ
هذا الوقوف..!

إنها النارُ ...
إن سرتَ .. أو قمتَ ..
أو خالجتْكَ الطيوف .
قدرٌ أن تخوض الجحيمَ بلا ذلةٍ أو شفاعة
قدرٌ
أن يصيرَ الوقوفُ علي برْزخِ الفعلِ درْءاً
لحدِّ الشجاعة.
فأنت أمام المشيئةِ لا تملك الرفضَ
تقتاتُ خبْزَ امتثالكَ...
حتى تولي السنونُ المجاعة.

أسيوط ١٥/٦/١٩٩٩

## تفتيش ...

لم تكنْ مثلَ البنيَّاتِ الصغار ..
سنُها في مثل سنِّي،
ربما أصغرُ منِّي..
ربما أقصرُ بعض الشيء ، لكن ..
حين تنظرُ في عيوني كنتُ أشعرُ بالدوار .

*

لم تكن مثل الكبار
كانت الكفُّ الرقيقةُ
مثلَ قرطِ الشمسِ ، تخفيها
فيرتجفُ النهار ...
كان جيبُ الثوْبِ
يُطلعُ من غموضِ الطوقِ بدراً...
لا يقيِّدُهُ المدار .

*

حين مالتْ شمسُ ذاك اليومِ تبحثُ عن أفول،
كانت اللوْزاتُ صبحاً
من زهور الفلِّ في رأسِ الحقول .
قد تعرّى بعدنا الحقلُ من الزهو
وأصغى للأهازيجِ البهيجةِ من فم الأطفالِ
وارتعش النخيل ...

قالَ جدِّي وهو ينظرُ للصبايا بارتياب :
قمْ .. وفتِّشهنَّ ..
سرَّاقٌ .. قِحاب..!!
دائماً يخْفين بعضَ القطنِ من تحت الثياب ...

*

حين جاءتْ في مواجهتي كسا الوجْنات ذاك الجلِّنار
واستدارتْ والجناحانِ يرشَّان القرنفلَ والبهار
بانَ شيءٌ تحت جلدِ الثوبِ
دمدمَ .. واستدار ..
حينها انقضت يدي بالزهْوِ تضبطُ ما تخبئُ بالصدار
زلزلَ الصمتُ المؤرِّقُ في دمي...
حين مسَّ الكفُّ تحت الثوْبِ عصفوراً
وطار ...

أسيوط ١٨/٧/١٩٩٩

## حوارٌ معه ..

أنت ..؟

من ... ؟

مستحيلٌ خروجك في هذه الريح والليلةِ المظلمة !!

كيف تسللت من قبركَ الحجريِّ وجئْتَ إليْ؟!!

وكيف تخلصت من قبضةِ الموْتِ والوحدة المؤلمة ؟

وكيف تسرَّب رملُكَ من كفِّ أجهزة الخوْف

من ينصبون الفخاخَ لصيد القصائدِ والأغنيات ؟!

وهل أنت من أنتَ فعلاً...؟

أم أنك وهمٌ ..

يصنِّعهُ الشوقُ في أضلعِ العاشقين

وينضجُ في سلَّةِ الروحِ

حتى يصيرُ طيوفاً...

تردُّ إلى العاشقين الثبات ..!

..................................................

إنهُ أنتَ فعلاً..!!

بقامتك السمْهريةِ،

بزتك العسكريةِ ،

لونك

أنفك

عينيك...

كلِّ الصفات ...

ولكن.. أما حاصروك بخصيانهم ..

كيْ تقرَّ بقبركَ

حتى تضلّ الطريق إلى الماءِ بعدكَ ؟

كيف اخترقت الحصارَ الرهيبَ

وهل أخطأتْكَ الرداراتُ والحاسبات ؟

...............................

جميلٌ رجوعكَ يا سيدي ...

مرحباً..

إنني واحدٌ من جنودك يا سيدي

يسعدهُ أنْ يراك..

يحاذرُ من فرحهِ أنْ يصيح ...

سيدي .. أين سيْفك ؟

إنهم لا يزالون في القدس

في بيت لحمِ ...

وفي كلِّ بيْتٍ وفي كلِّ لحمٍ

وراياتُهم كالغرابيبِ ملءُ الفضاءِ الفسيح ..

والخلائفُ أعطوْا لهم ما يريدون ..

موثقهم بالسلامِ الصريح ...!

ونامَ الخليفةُ ..لكنني لم أنمْ

فكيف ينامُ الأبيُّ الجريح؟!!

..............................................

ما تزال[ الرُّها ] مدخلاً للنزيف...

وفاتحةً للظلامِ القبيح ...

وما زال ليل المغيرين يحملُ صلبانهُ الزور

يخرجُ من غيْهبِ البحرِ متشحاً بالأكاذيب ..

مدثّراً بالمسيح..!!

ومازال ليلُ الثعابين ...
يطوى بديْجورهِ الشامَ ،
دبكته،
والغناءَ بأعراسنا اليعْربية ،
يفتضُّ عاصمة الشممِ الأمويِّ...
[ دمشق ] ...
يكادُ ينكسُ راياتها الانكسار
تراها سيوفُ الفرنجةِ ما يطلعُ الليل يا سيدي ..
أم سيوفُ التتار؟

......................................

هل ترى سيدي ...
ليل المجاعةِ في [ مصر ] ...
تركضُ بين دروبِ التوجُّسِ ..
أجيادُهُ الصاهلة !!
فتدمي سنابكُها البربريةُ طهرَ القباب
وتسبلُ أجفانَها [ الأسئلة ] .!!
التواريخُ تعلنُ حكمتها...
[ يدخلُ الصوتُ في هامش الصمت ...
حين يصادرُ جندُ الخلائف
سنبلة الأسئلة..]

................................

إنها المسألة ..
فما عاد صوتُ المؤذنِ يدعو إلي الله
مستجمعاً في الصدورِ الحنينَ إلي الفتح
والنصرِ والجنّة الماثلة ..

.................................

أتراها سيوفُ الفرنجةِ
في كفِّ جندِ الخليفةِ يا سيدي ...
أم سيوفُ التتار ؟!

.............................

يا لهذا الدُّوار ..!!
يا لهذا الدُّوار ..!!

......................................

لا تسلْ عن عراقِ العروبةِ يا سيدي ..
فالعراقُ هو الآن جرحٌ بأرضِ السواد ..
والبلاد ..
- آه جرح البلاد -
البلادُ تحاولُ عصْبَ الجراحِ براياتها .. والعناد ..!!
والخلافةُ تطفئ مشكاتَها
والمناراتُ تسلّمُ كلَّ الصواري إلى التيهِ
والغاصبونَ علي ضفَّةِ النهر
يمتشقونَ سيوفَ الحصار ...
أنت تعلمُ معني الحصار ..
معني التنفس من رئةٍ في يد الآخرينَ الكبار ..
سيدي ..
ليس من يسكنون القصورَ الحصينةَ
من يغْصبون الديار،
ويستدْفئون ببردِ الصغارِ ضحايا الحصار ..
الضحايا جنودُكَ ..
أبناءُ جندك...
من يخرجون إلى الموت
لا يبتغون قطاف الثمار ..

......................................

أتراها سيوف الفرنجةِ ما يحبس الفجر يا سيدي
أم تراها سيوفُ التتار ؟!!

....................................

يا لهذا الدوار
يا لهذا الدوار

...................................

آه يا سيدي ..
قد أعادَ إلى العين
نورَ البصيرةِ هذا الحوار ..
ليس سيف الفرنجة يا سيدي وحدهُ
وليست سيوف التتار ..
بل سيوفُ القبائلِ
عادت تمزِّقُ راياتنا بالهضاب ..
والخلائفُ يختبئونَ وراءَ الأحاديث
والأنبياءِ الكذاب..
الخلائفُ قد أسلموا للمماليك سيفَكَ
درعك
خيْلَ الجهاد..
واستطابوا الخراجَ الملوَّثَ بالدَمِ ..
والغمغماتِ الغضاب

...................................

إنني الآنَ أدْركُ سرَّ السكوتِ لديك..
وأعرفُ كيفَ يكونُ الجواب...
وأعرفُ أيْنَ ستطعنُ ..تطعنُ..تطعن تلك الحراب.

أسيوط ١٩٩٩/١٢/٣

## خارطةٌ لوجودٍ آخر

مندهشٌ أنت دواماً ..
كالأطفالِ
تعلقُ حقل علامات استفهام في عينيْك
وكالأطفالِ تماماً
تتهجى مندهشاً
لافتةً تُدخلك الملكوتَ وحيداً
فتغافلُك الحيّرةُ
تسرقُ منكَ يقينَكَ ..
تملأ صدرَك قلقاً وهواجسَ
فتضلُّ خطكَ
وتضيعُ مفازتك الأُولى

...

ممتلئٌ بإجاباتٍ خاطئة..
تسكن بحراً تتلاطمُ فيه الأسئلةُ،
وليس لديْكَ من البحرِ سوى الملْح،
وذاكرة الأسماك ...
وطحالب شكٍ تسكنُ قاعك ..
ورمالك يزرعّها المدُّ
بأشواكِ لقواقع ماتتْ.
أنت هنا تتأملُ في الماءِ مواسم ثلجٍ وجليدٍ
وفصولَ ضباب..
ومواقيت دخولٍ وخروجِ لمراكب لا تأتي
لا ترحلُ أبداً...

..

ملتصقُ أنتَ بآثارِ اللغةِ المهجورةِ
وخرائط لهوٍ وعواطف بادتْ،
جاوزك الزمن الصامتُ متشحاً بغرورِكَ،
وغناءٍ فجٍ محتدٍ..
ووقفتَ وحيداً عند برازخِ خوفك ..
منجذباً لكواكبَ تهوى..
في تيهِ الكونِ ولا ترتد..
وشموسٍ ونجومٍ تتقزّم وتفكُّ ضفائرها
وتبعثرُ في اللل اشيءِ قلائدَها...
وتحاول أنْ تصنعَ من فوْضاكَ نظاماً
وخرائطَ لوجودٍ آخرَ ..
ليس يُحَدْ...

أسيوط أكتوبر ١٩٩٩

## مغادرة

قد لا أبدو حين أعودُ إلى البيْتِ وألقاكِ
مشوقاً..
قد لا يتركُ لي منكِ صغاري شيئاً ألمسهُ...
حين تغلّق دون يدي أصابعهم ..
كل مداخلِ لغةِ الليلِ
فأتهجي وصلك..
................................

قد أبدو مبتلاً بالمللِ وبالصمتِ
وبالضجرِ اليومي..
وخمسين خريفاً
تطبع فوقَ الوجه
وتحت العينيْن خيوطاً من حذر أنثى ..
تترصدُ ألقَ الغبطةِ
حين أعودُ إلي البيْتِ وألقاكِ
................................

قد أبدو منْهزماً ..
أزْاورُ منصرفاً ..
عن أسئلةٍ تطرحها عيناي..
ولا تلقي أجوبة عندك
لكنّي أدْركُ

أن عيون صغاري
تفترشُ مساحاتِ البوحِ بعينيك
وتحجبني
..................................

كم سنة مرّت ..
منذُ تبرعمنا في عود محبتنا زهراً ؟
عشرون ربيعاً مرت ...
تحت نوافذنا لم تذبل
يا سبحان الله ..!!
كم سنة دخلت مخدعنا بشتاءِ العاداتِ ،
وطيشِ الصدفةِ
بمراراتِ الكبَواتِ الخجلى
والزهو العارضِ
كم قمر ورديٍّ سهدنا
واستنْبتَ مخدعنا شوكاً ...!!
فاحتلنا بندى العينيْن
لينبتَ ورداً وحريرا.
..................................

سيدتي...
قد تسقطُ من ذاكرةِ اللغةِ الضيقةِ العجلى
كلماتُ الشوق
حروفُ التوقِ
وأحوالُ العشّاق،
قد تسقطُ من معجمنا اليوميّ

عباراتُ فقدتْ بهجتها ..

لكن ..
حين أغادرْ مرتحلاً ..
يقتلع القلبَ شرودُك،
حين أمرُّ من البابِ
فتبتسمين مودعةً ...
ينسلُّ القلبُ من الحذرِ المندسِّ
وراءَ خيوطِ العمر
ويبقي عندك ...............
وأغيـــــــــــــب ..

سوهاج ٢٠٠٠/٤/١٥

## رايةُ الله

من أي فجٍ ترى تغتابنا النوبُ
وكيف نصبرُ والأهـوالُ تضـطربُ

وكيف صرنا بلا حولٍ تمرُّ بنا
مصـــارعُ الأهلِ لا نغلي ولا نثـبُ

كأنَّ سيف عدوي حين يشطرنا
غمام صَيفٍ من الأضلاعِ ينسحـبُ

فأي جرحٍ بصـدر الروح يؤلمنا
أم يطلقُ الآه منا العجـــزُ والغضبُ

كلُّ المراقدِ أشواكٌ تقلـــبنا
فأي جنبٍ تراك عليهِ تنقـــلبُ

نبيتُ نشرب دمعاً عزَّ مسكبهُ
من أيِّ عينٍ تراه الدمعُ ينســـكبُ

كأنها لم تكن ملءَ عين الدهر رايتنا
خفّاقةً ، يزدهيها الفخر والعجـــبُ

فأين [ موسى ] وخيلُ الله ضابحةٌ
وأين [ خالد] واليرموك ينتحـــبُ

وأين بات [ المثنّى ] حين داهمنا
ليلُ الفجيعةِ والأعرابُ ترتعـــبُ

يا راية اللهِ لا تستبدلي وطـــناً
بهذه الأرضِ ، إن الليلَ ينسحـــبُ

وفي غدٍ سوف تشرقُ شمسُ عزتنا
ويعلنُ الفجر مولدَهُ ويقتــــربُ

يا راية الله لا تستبدلي وطناً ...
بهذه الأرض .. إنّ الفجر يقتـــربُ

## بعضُ المداد

فارسٌ من رماد
يبيتُ علي مفْرقِ الوهْمِ مسَّربلاً بالغناءِ القديمِ
ومستمسكاً بالعناد.

....................................

فارسٌ من رماد..
يخافُ من الريحِ
إنْ دلَّها الحزنُ والانطواءُ عليهِ
تُبدد ذراتَهُ في الوهاد

...............................

هو في واقعِ الأمرِ لا شيء
غير بقايا اشتعالٍ وحبرٍ قديم
لكنه في عيونِ العصافير
التي عبرت نهرَهُ
قـد يعيد السحابَ إلى البحرِ ماءً
إذا ما أراد.

..............................

فارسٌ من رماد..
يفتِّحُ في رأسهِ الوهمُ نافذةً
من رؤاه...
فيصنعُ بالشِّعرِ أجنحة للعصافيرِ..
تعبر أفْقَ المنافي
وتصدحُ بالشوْقِ

لكن علي الشطِّ يكمن رخُ النهاياتِ
يدْخلها في السَّواد.
حين يسألُ طيْرِ المواقيتِ
عن قريةٍ...
ما تزال تحطُّ علي هدْبِ عينيه ..
يرسمها في القصائدِ شعراً جميلاً..
تطولُ المسافةُ
ما بيْن منفاهُ والقريةِ المستحيل ..
إنها الأرضُ ، والعشبُ، والقُبَّراتُ ،
ودفءُ الأكفِّ ، الأمانُ،
وصوتُ المؤذِّنِ
يوقظُ رملَ العصافيرِ في جنَّةِ السيْسبان .
..............................
الأماكنُ ليست سواء بأشعاره
: في المدائنِ .. أرصفةٌ للرحيلِ،
وأبوابُ حزنٍ تفتِّحها الريحُ،
حين يحينُ أوانُ البكاء.
... بينما القرية المستحيلُ ..
تنام علي هدْبِهِ في المساء،
وبيْن الضلوعِ تشقُّ من النورِ فجراً إلى العشبِ والماءِ،
يأخذه للتسابيحِ في غبطةٍ وانتشاء.
.........................................
حين جاءتْ لتدخله في الجحيم – المدينةُ –
أيْقظَ أحلامهُ
قال لا تخلدي للرقاد ..

واسمحي أنْ أمدَّ يدي
أتحسسُ دفءَ النوافذِ،
تلك النوافذِ مسكونةٌ بالوداد.
ربما يبصرُ العابرونَ علي ضفَّةِ التيهِ
هذا الضيـــاء ...
فأعرفُ ما ينقصُ الصدرَ من أضلعٍ .. أو رشاد.
..........................................
حين يكتشفُ البردُ مدخلهُ للضلوعِ
ستمضي به المدنُ الأجنبيةُ للتيهِ
ماذا تبقَّى بليلِ التغرُّبِ
غيرُ الطيور الجريحة ..؟
غير صفير الرحيل علي مرفأ الارتداد.
فارسٌ أنهكتْهُ التقاويمُ ،
يصنعها في منافيهِ
كيْ يمسك الوقتَ..
والوقتُ رملٌ علي شاطئ الابتعاد.!!
منهكٌ فوقَ ثلجِ التغرّبِ ،
يحتاجُ دفئاً،
وأمـــــناً
وعمراً ليكتبَ عن قريةٍ مستحيل..
ويحتاجُ بعضَ المـــــداد.

أسيوط ٢٠٠٠/٨/١٢

## تهليلةٌ للولد

بكائية:

{ دمّ القتيل إسفوا عليه شالْه
طلع النهار وخيّه ما جالُه ....}

(١)

إنه الفجر
حين يغادرُ دفءَ الفراشِ ..
ويهجرُ أحزانَ من علموه الجلدْ ..
إنه الفجر
حين يغادر عطر الرياحين
في صدر من أرضعتْه الحكايا ..
ورشتْ على شعرهِ مطرَ العشقِ ،
في أمسيات الكبَد
يخرجُ الفجرُ من عتمةِ الدارِ
كالفرحةِ البكرِ ،
كالنبتةِ الصاعدة ...

...................................

يا لهذا التراب القديم العجيب..
يخلّقُ من ماءِ أحزانهِ
موجةً من بروقٍ ..
وحقلا من الأنجمِ الزاهرات
تضيءُ وتسقطُ بالعشقِ مستشهدة

...................................

إنه الفجر من ليلةٍ باردة
والصباحُ الذي يولدُ الآن من رجفةِ الليلِ لا يجتبي النسمةَ المبتغاةِ
فلا عطر ليمون {غزة } ضاعَ
ولا ظل جميزها في الطريقِ
ولا ملح شطآنها الصامدة ...

.....................................

الصباحُ الذي يعْبر الآن بوابةَ الوقتِ
فتَّق زهرَ المواعيدِ
عن لحظةٍ خالدة ...

.....................................

حين يهدي المحبُّ الصغيرُ الترابَ الدماءَ
سيرتجُّ في الكونِ صمتٌ ثقيلٌ
لقلبٍ توقفَ من طلقةٍ جاحدة
الفراشاتُ تبحثُ عن غرَّةِ الفجرِ
في أعين القادمين بخيل الأساطيرِ
من مدنِ الشعرِ ،
في الأغنيات البنادقِ،
والساحةِ الموقدة

.................................

الفراشاتُ تستْطلع النورَ
في أعين العاشقين ،
وبدرُ المواعيدِ
في الأعينِ المجهدة ...
أي وقتٍ من العامِ هذا الحصادُ
الشتاء ؟ الربيع ؟ الخريف أم الصيف ؟

في أي شهرٍ من الأشهر الماجدة؟
كيف لي أن أسمي المواقيت ؟
هذا الزمانُ تجمَّع في لحظةٍ واحدة
فمنذ تخلّت عن الصدرِ أنفاسُهُ ،
و المواسم ترحلُ
دون ربيعٍ بخدِّ الصغارِ ...
وقبل ذبول البنفسج بالأوردة ...

..............................

ليلةٌ باردة ...
والمصلي يطوِّحُ مشكاته،
يفتشُ عن دمع زيتونةٍ بالمناراتِ
عن صيحةٍ بالجهادِ
وعن رنةٍ من جرسْ ...
رغم عنف الوحوش العسسْ
تخرجُ { القدسُ} ...
في صدرِ ذاك الصبيِّ،
بكراسةِ الرسمِ
والأغنياتْ ،
ومن عتمةِ الأسْرِ تأتي المدينةُ
تستطلعُ الفجرَ في غرةِ الساجدينَ
وخلفَ التماع سلاحِ الحرسْ ...
والمسافةُ ما بين {حطين } و { القدس }
خارطةٌ من زمانِ الطموحاتِ
ذاكرةٌ من فصولِ الجَلَد

..............................

هللوا للولد ...
فالتهاليلُ فاتحةٌ للصلاة
وشدو العصافيرِ أيقونةٌ
علقتها الرياحُ الأناشيدُ
بالأسطحِ الساجدة ...

....................................

هللوا للولد
فالمسيراتُ تخرجُ من جرحهِ الآن
تفتحُ بوابةً للنهارات
تجمعُ في سلَّةِ الاحتشاد
تواريخنَا الشاردة ...
إنها اللحظةُ الخالدة ...
إنها لحظةٌ للصلاة القضاءِ
وللصومِ عن صمتنا للأبدْ ..
أفْتنَا أيها الولدُ الشيخُ ...
كيف تصحُ الصلاةُ بغسلِ الدماءِ ..
وراءَ صبيٍ
سيقرأُ من سورةِ ( الفتحِ) ...
بالآيةِ الواحدة ؟

......................................

للفراشات أنْ ترقص الآن رقصتها
للصباح الجديدِ وللفجرِ
هذا ربيعٌ تفتّح في أقحوانِ الجسدْ ...
للنوارسِ أن تهجرَ الرملَ والطينَ
فالماءُ في لجّةِ الصدر مــــدٌ

للعصافير أن ترشف اللحنَ

من غضبةِ الموجِ أو من جراحِ ( أُحد)

التواريخُ في ساحةِ الفتحِ

تصغي لتهليلةِ الصاعدين مع الصبحِ،

من يُقتلونَ ولا يطلبون المدد... هللوا هللواهللوا للولد ..

أسيوط١٥/١٠/٢٠٠٠

---

(١) إسفوا عليه شالة : غطوه بالشال وهو غطاء الرأس للرجال و( خيه ) تعنى أخيه

## شـوق

سماؤك معراجٌ وأرضُكَ منبر
وتربُكَ مســـكٌ والنســـائمُ عـــنبرُ
ونخلُكَ جناتٌ ، وتمرك سكر
ووردُكَ مشهـــودٌ ، وماؤك كــــوثرُ
أمرَّ نسيمُ الفجرِ فوقَ دروبها
أم الصبحُ في أفــيائها يتبـــــــخترُ
يبادرُ للساحاتِ حين أثارها
نداء مــن الجــــناتِ ، الله أكـــبرُ
وتلك قلوبُ العاشقين أضاءها
من الشـــوقِ وضّـاءُ الترانيمِ أنورُ
أم الكوكبُ الأسمى أطلت بدورُه
علي العتبــاتِ الطاهـــــراتِ تنورُ؟
وضاع أريج الذكرِ حين تنفست
صلاةٌ بمحرابِ الخشـــــوعِ تقــطِّرُ
تغمغمُ في ليلِ العيون .مدامـــــعٌ
وتفضحُ قلباً كـــــان للشــــوقِ ينكرُ
رويدكَ يا شوقَ المحبينَ إنني
يرفُّ بصــــدري كلما دقَّ طـــائرٌ
أهاجت به الذكرى جروحاً حسبتُها
قد اندملت يوماً وما عــدْتُ أذكـــرُ
ولكنني كلما أنَّ عاشـــــقٌ
تفجَّرَ بالأعماقِ ما كنتُ أحـــــذرُ

وإن صاح صبٌ يا حبيباً حسبتني
أنـــاديك يا من بالخـــواطرِ تـــخــــطرُ

حبيبي رسولَ اللهِ يا منتهى المني
ويا بهجةَ الأنظــــــــارِ أيانَ تنظــرُ

ويا طيبَ دنيانا ومسكَ ختامها
وعلةَ أشـــــواقٍ لديَّ تســـــعَّرُ

أناديكَ والدنيا تباعـدُ بيننا
وبين الذي نهوى، فننأى ونهـــجـــرُ

وما هجرت قلبي شواهدُ صبوتي
فحبك عندي يســـــــتبدُّ ويكــــبرُ

متى ينقضي هذا الرحيلُ أما له
ككلٍّ دروبِ الشـــوقِ يا ربُ آخــرُ

أسيوط ديسمبر ٢٠٠٠

## بغداد

المواجعُ نائمةٌ في صدورِ البنايات ِ
والنخلُ مسترسلٌ في التسابيحِ
آياته الخضرُ
تستنبت الماءَ من شظفِ الاحتضار

والمواقيتُ قيظُ
برغم انهمار الدموع ،
هو الغيثُ لكن قيود الحصار

والعيونُ ترتبُ مائدةً للحوارِ مع الصمت .
والنخلُ مَن يصنع الصبرَ والتمر
يستدرجُ البوحَ
من عطشِ العابرين علي جمرة الصمت ،
طول النهار

والوفودُ تغادر
من مدرج الطائرات
إلى باحةِ الأعظمية ..
تترك أحزانها بالحقائب
أو قاعة الانتظار.

والمواويلْ في شطٍّ دجلة
تبحثُ في شارعٍ جانبيٍ
عن النائحِ الفذِّ
من عيَّرتْه الليالي بأقمارهِ
والمشيب .

المواجعُ نائمةٌ في صدور البنايات..
والشعرُ يشربُ عجزَ القوافي ،
وتدخلُ أوزانه بالتعازي ..
وتُحتلُّ ألحانهُ بالنحيب .

والقصائدُ مسفوحةٌ بالكراريس
لا شيء يقتلُ بيتًا من الشعر
غير اختناق الحروف بماء الدوار .

إيه بغداد
لا تدخلي في محاقِ التواريخ
هذا الرحيلُ عن البحر بعض الغياب
وبغداد
أنت علي صهوةِ الريحِ تبْنين
يومًا جديدًا ....
ومن مدنِ القصف
فاتحةً لانتصار العمار .

أيها الواقفون علي مشهد الصمت
والخرس العربي
من يمضغون القوافي
عن الوطن الحرِ
والأمة الخالدة ...
كيف تمضون
- في آخر الليل -
للبيت ..!!
كي تنعموا بالهدوء النبيل...
والأساطيلُ في لجة الغدر
تكمن للبدر في عتمة الانفجار ؟

كيف تمضون للبيت
في هدأة المدن المستحمة بالضوء
والغيث والاخضرار
والمغيرون يلقون بالموت
فوق اليتامى
وفوق المصلين و النائمين
وفوق فصول الصغار

افتحوا للقصائد دربا
إلى مدن الشعر
هيا ارفعوا عن بلابل بغداد
هذا الحصار .

بغداد ٢٠٠١/١/٢٨

## هراءٌ فصيح ..

**تكأة:**

**[ ليس لي رغبة أن أمد يدي..**
**لأصافح أخبار هذا الصباح ...**
**أدونيس ]**

- **ميلاد :**

**- قومي يا خالدة**

**قالها في الهزيعِ الأخيرِ من الليلِ .**
**ثم استدارَ إلي بابِهِ أوصدَه ...**
**إنهم يقطعون الطريقَ إلي الصبحِ**
**مازال صوتُ انفجارٍ قريبٍ**
**يؤرجحُ بعضَ الخيوطِ علي حائطِ الصمتِ**
**مازال بعضُ الدخانِ المسيِّل للدمعِ**
**ما بين سقفِ الحلوقِ**
**وأجفاننا المسبلة ...**
**- قومي يا خالدة...**
**واحبلي بالنهارات**
**قد حانت اللحظةُ المقبلة ...**
**ما تبقى من الليلِ يكْفيكِ حملاً ..**
**ليولدَ في الصبحِ مثل الصغار**
**وعند الظهيرةِ ..**
**يخرجُ في وجههِم .. قنبلة ...**

• فتي :

مستقيماً كما السيفِ

مرَّ كمَرِّ السحابِ

كخطٍّ الهزائم في كفِّ أيامنا البائدة

فارع الطولِ كالنخلِ ، كالمئذنة .

فاحم الشعر ..

كالكحْلِ في الأعينِ العاشقات

حيِيًا كما الطفلةَ الناهدة ...

يقولون ، كل البنات رأين علي وجهه ألقَ العشقِ ،

أو خجلَ الشهوةِ الدافئة !!

وقالت فتاةٌ :

بناتٌ من الجن يعشقْنَه ..ويسْحرْنَه ...

لذلك لا يشتهي عسلَ الفاتنات ..!!

ويستعذبُ العزلةَ الهادئة !!

يغيب كثيرًا ...

وحين يعودُ ..

نرى صفرةَ العاشقين عليه

وبعضَ بقايا اشتهاءِ قديم ..

تموجُ به نظرةٌ صابئة !!

وحين يطلُّ الصباحُ الملبَّدُ بالصحْوِ والشقشقات

يؤججُ في صدْرهنَّ التمنِّي ..

ويسكنُ بالهدْبِ ليلَ الغياب

ذات صبحٍ أتوْا يحملون الفتى ..
يكفِّنُهُ علمٌ ، غسَّلتْهُ الدماء .
وحين انفردن أخيرًا بهِ ..
رأين به صفرةَ العاشقين
رأين بقايا اشتهاءٍ قديمٍ
وكان بعينيهِ بعضُ العتاب ..

● وحدة :

هذه الأرض أنت ..
ضوءُ عينيك حيطُ البراق ..
وريدُك زيتونةٌ في فناءٍ قديمٍ
وزندُك بيارةُ البرتقال ...
ونصفُ فؤادك في باحة القدس
والنصفُ بالصدر ينبضُ بالانتصار ...

هذه الأرض أنت ، فكُنْها إذا شئْتَ ،
أو مُتْ عليها
أنت وحدك من فضَّ سرَّ التخلُّقِ وانتظار ...
أنت وحدك ..
من جاءها من سديم الهزائم .. عنقاء
يبعثُها من رمادِ الفجيعةِ طهرُ الدمار ...
أنت وحدك بين المهالك تحيا ، فعشْ ..
ليس ثم اختيار .
اعط تلك الحجارة ماءك تبقي ..
لتزهر بالنصر رغم الحصار ...

أنت وحدك في المَقْتَلَة ..
أنت .. والقُنبلَة ..
فأيكما يطلعُ الفجرَ من ظلمةِ الانفجار ؟!!
أنت وحدك ربُّ القرار ..
أنت وحدك ..
أنت ...

● هراء :
حين حلَّت ضفائرَها اللغةُ المستحيلُ ..
تبدَّتْ علي مرمر النهد بوابة ..
لست أذكر أي السلاطين عمدها بالهزائم
أي المساكين دشنها بالفتوح ..!!
التواريخُ صامتةٌ ،
والحروفُ تبوح ..
القصائدُ مسكونةٌ بالمواجدِ
والشعرُ مزَّملٌ بالقروح ..
والصغارُ يموتون بين المفاعيل والفاعلات
وفوق العروش ..جروحٌ .. تقيح ..
وما بين عهرٍ .. وشعرٍ
يفجِّرنا الغيظُ ..
ينثرُ هذا الهُرَاءَ الفصيح ...!!

أسيوط ٢٠٠١/٧/٢٠

## متتاليات :

- اقتران :

- يعلمني البين

أن القلوب الجريحة لا تكتم العشق ..
والشوق في القلب لا يختزن ..
وردة الشوق طير يفر من القلب في السر ..
لكن يغادره في العلن ...

هكذا الشعر بالشوق
- في قلب من يعشقون -
اقترن ...

- أنور عبد الله :

- حين مات ...

أيقن القلب بأن الموت
لا يدع الأحبة والصحابا ...
ربما يأتي إلي بيتي صبحا .. أو مساء
ربما يهتك ستري دون أن يطرق بابا ...!!
حينها نسأل .. من يطلبنا ؟ !!
ونولي دون أن نلقي جوابا ..!!
ليته يمكث حتى ننتهي
من حديث دار ،
أو نضع الكتابا ..!!

● لغز :

● ملغز شاطئ الاعتراف .. لهذا ..

أخاف الدخول إلي لجة البوح

قالت : أحبك ..

لكن ..

لمن أطلق الآن سرب الحمائم من أضلعي ؟

وأي سماء سيشرق فيها دمي

قمرا منطفيْ ؟!!

ملغز شاطئ الاعتراف ..

فلا الرمل باح بسر الهوى للمياه ..

ولا الموج حين يقبل خد الشطوط

أذاع النبأ ...

أسيوط ٢٤/١٢/١٩٩٤

## لا تطمئن

يا سارقَ الأفراحِ من عين الصغارِ
بلا ثمن ...
لا تطمئن ...
يا وائد الأحلامِ في صدر الكبارِ
بلا ثمن .. لا تطمئن ...
فالناس يمكن أن تخاف ..
وأن يدثرها السكوت
والناس يمكن أن تعيشَ علي الفتات ..
والناس تقدرُ أن تموت ..
لكنها .. لا .. لن تموتَ بلاِ ثمن ..!!
الناس تعرفُ ما يشاع..
والناس تأكلُ ما يباع ..
ويصبرون ...
ومن الشوارعِ يشترون الموتَ في سلع الفساد
ويشكرون ...
لأنهم لا يملكون سوى البطون ..
لا يملكون من الشوارع غير ما يبقي
لتدهسه الخنازيرُ السريعةُ
والجنازيرُ الوضيعةُ والجنون .. فيصمتون ..
لكنهم في لحظةٍ سيفجرون الكون إذ يتفجرون
فالناس حين يهزها وجع الفوارقِ قد تئن ..!!
لا تطمئن ..

أسيوط ١٩٩٤/١٢/٢٩

# أختاه

يا أخت حسبك إن اللومَ خنجرهُ
شق الضلوعَ فكادَ القلبُ ينفـــتقُ

قالت: سل العربَ.. كم من أسترٍ هتكت
وكم شهيدٍ ولا غيظٌ ولا حـــنقُ

تنامُ ملءَ جفونٍ لا تؤرقها ...
مجازرُ الغدرِ ، لا ينتابك القلـقُ

أختاه لا توجعي قلبي فإن دمي
قد صار دمعاً علي خديَّ يهتـرقُ

لا تكثري اللومَ يا أختاهُ لي كبدٌ
من حرِّ حزنكِ في جنبيَّ يحتـرقُ

وباتَ في صدري المقرورِ ملتحفاً
أشلاءَ صمتيَ . ماذا تسترُ المزقُ

وأهلنا في سباتٍ لا يضجُّ بهم
دربُ المروءةِ أو تندى بهم طرقُ

فألفُ أندلسٍ ضاعتْ وما حفلوا
وألفُ مئذنةٍ تبكي وما شـــهقوا

فلم يعدْ لجنودِ الحقِّ مفرزةٌ
يقودها باسلٌ للطوقِ يخــــترقُ

وليس للرومِ بعد اليومِ خالدها
وليس للفرسِ سعدٌ جاء يمتشـقُ

فضمدي جرحَك الدامي بأدمعنا
قد باتَ يمنعُنا من نصرك الفرقُ

داوي جراحك بالكتمان سيدتي
الكلُّ غافٍ ، فلا جيشٌ ولا فرقُ

وليس لي غيرَ أبياتي أسطرها
بماءِ قلبيَ ، لا زيفٌ ولا ملــــقُ

فليس لي من سلاحٍ عير قافيتي
ضجت بأشعارنا الأقلامُ والــورقُ

فيا شباباً رأى الإسلامَ ملجأهُ
إلي الجهادِ . أثاب اللهُ من سبقــوا

موتوا علي أرضكم إن كان موتكمو
هو الحياةُ لين اللهِ واستبقـــــــوا...

ولتسألوا اللهَ عونا من ملائكه...
فالمسلمون غدوا في خُلْفِهم فـــرقُ

ولتسألوا اللهَ نصراً لا مردَّ لهُ
في غير نصرك يا رباهُ .. لا نثـــقُ

أسيوط ١٩٩٥/١٠/٢٠

## برقيات..

### [١] إلي شقيق عربي : ماء..

قالت الأعشابُ للأغنامِ :

ماذا تفعلين ؟ ..!!

قالت الأغنام : نأكلُ ثم نشربُ ..!!

- – ثم ماذا؟

قالها العشب الحزين ..

- – كيف نحيا دونَ عشبٍ .. دونَ ماء ؟!!

- – لا رعي اللهُ الغباء ..!!

تأكلين العشب أياما ..

ويوما تؤكلين ..!!

هزت الأغنام ما حُمِّلْنَ من شحم السنين

ثم قالت بعد أن لاكت سؤال العشب :

مـــاء ..

## [٢] إلي صديق أمريكي: حب :

يا صديقي
ربما أدركت ما أعنيه حقا
دون لبسٍ والتواء ...
ربما أدركتَ ذاك الفرق ..
ما بينَ احتراقِ اللحمِ حيًّا ...
والشُواء ..

إنها النارُ التي ..
يا طالما أشعلتَها...
أنت في النارِ كما كُنَّا – وما زلنا –
سواء ..

ربما صدَّقتَ أنَّ النارَ ..
عمياءَ تمامًا ..
تأكلُ الأطفالَ ،
والدورَ البهيجةَ
في حكاياتِ المساء ..!!

ما الذي أنبَتَ هذا الهول
في عينيَّ ؟
في عينيْك ؟
فاسْوَدَّ الضياء ..!!؟

من ترى أشعلَ صبحَ اللهِ بالأحزانِ
فاحتجَ الغناء ..؟!!.

إنَّهُ الكُرْهُ الذي تجنيه ..
للدولارِ .. للقمحِ الملغَّمِ بالجنود ..

لم يعدْ للكُرْهِ في الكونِ حدود
منذُ أنْ سارَ علي الأرضِ .. اليهود
لم يعدْ للحبِّ في الكوْنِ وجُود ..!!
لم يعدْ للحبِّ في الكوْنِ وجود .. !!

أسيوط ٢٠٠١/٩/٢٨

## وصيةٌ

ولدي أحمد ..
حينَ يحين الحينُ
ويسقطُ منْ كفِّي قلمي
أرجوكَ تجلّدْ
لا تبحثْ بينَ الأوراقِ المسكونةِ بالشعْرِ
وبالوجعِ الليْليِّ
عن الأرقامِ السِّريةِ ،
وصكوكِ الملْك ..
لا تبحثْ عن خارطةِ الكنْزِ ،
فلا خبأ هناك ..
فأنا لا أملكُ من عَرَضِ الدنيا شيئًا
حتى قلبي ..
كانت تسكنُهُ الأوطان

هل تدركُ يا ولدي
معني أنْ تعشقَ وطنًا
يُزْهِقُ أنفاسَك في طلبِ القوت ؟!!
هل تفهمُ كيف تحبُّ بلادًا
يسكنُها الكَذَبَةُ ،
والكتبةُ بالزورِ ،
وخطباءُ الفتنةِ ، والخصْيان ؟!!

لن تفهم
كيف يذوبُ الوطنُ بقلبِكَ ،
حتى تُمْحي من ذاكرةِ الكُرْهِ ملامحَ أعدائك
فتحبُّ الوطنَ كما هو ...
ويذوبُ بقلبِك ..
لونُ الزهرِ بلونِ جراحِكَ ،
لا يبقى فرقٌ
بين ظلالِ النخْلِ الصامتِ
وظلالِ القضْبَان

أسيوط ١٩ /١٩٩٢/٧

## يماماتٌ خضراء

حين أكونُ وحيداً
تدْهمنـي عيناكِ ..
[بلونِ حقولِ النعناعِ عيونك ...]
تخْطفني من صمتي ..
[ فأنا حينَ يباغتُني شوقيَ أصمتُ ..]
فأثرثرُ ،
أنشدُ في عينيك حروفاً ..
أحسبُها شعراً..
لكنَّ الحرفَ الأخضرَ حينَ يغادرُني ،
يبسطُ أجنحةً ، ويطير ...
فتحلِّقُ فوقَ مداخلِ قريتنا دهشتُها...
وتغمغمْ بالدورِ عجائزُها:
[ أُفٍ لجنونِ الشعراء ...]
حين يجئ الليلُ ،
تخبئ قريتنا دهشتَها ،
وتنام ،
تحلمُ بيمامٍ أخضرَ يسكنُها ..
................................
وأنا مشغولٌ بسؤالٍ أرَّقني..
كيف يصيرُ الأخضرُ في عينيكِ حروفاً ..؟!
ثم يصيرُ الحرفُ
يمامات خضراء .؟!

أسيوط ١٩٩٢/٩/٢

## افتعالُ الغناء

خاطرٌ بالقصيدةِ يأتيهِ
يأخذُهُ للصبابات،
واللفظةِ المبْهمةِ.
مهرةٌ من حليبٍ وشهدٍ
تحمحمُ في دمهِ السوْسنيِّ،
تدثِّرُها بردةٌ فاحمة .
مرمرٌ من ترائبها ..
مرَّ بالأمسيات ،
فأعطى لها نُكهةَ الزمنِ البرْزخيِّ،
وأودعَ بالقلبِ ذاكرةَ الأقحوان ..!!
ليلةٌ
ليلتان..
والنجومُ التي في ضفائرها
شاغَلَتْ وردةَ الوقْتِ،
في مفْرِقِ الليلِ
واللحظةِ المهرجان ...

كان يعلمُ أن النساءَ
يخبئْنَ ما بين أشيائهن كنوزا
من العطرِ ، والشهدِ ، والاشتعال .
كان يعلمْ أنَّ القصائدَ حبْلى
بما لا يُقال ..

كان يعلم أن الفتاةَ تكحّلُ أهدابها
من رمادِ القلوبِ
لكي يختفي ـ في الظلامِ المدَجَّنِ
تحت الجفونِ المكحَّلةِ ـ الاشتهاءُ .

كان يعلمُ أنَّ الغيابَ عن البيتِ
يعطي النساءَ حقوقاً علي قلبهِ الغضِ ،
يوقعهُ بالشراكِ ،
فيصرخُ :
[ تباً لهذي العيونِ المضاءةِ
بالكحْلِ والانتظار ..]
لم يعدْ في سلالِ الزمانِ
من العمرِ .. أو ترفِ الاختيارِ ..
مزّقتْهُ الخناجرُ في الأعينِ النُّجلِ،
والقلب لمَّا يزلْ عندها ..
طفلةً ،
علَّمتْها الرجوعَ إلي حضْنِها
ـ بعد طولِ الغيابِ ـ
كما علمتها البكاء..

خاطرٌ في دماءِ القصيدةِ يمضي ..
فيتْبعُهُ مرغماً ،
راحلاً خلفَ أطيافه
حيثُ شاء ...
..............................

حين حاولَ أنْ يستردّ الحقيقةَ ،
غافلةُ الشعرُ ،
غادرهُ
خلَّفهُ في ضلوعِ الشتاء ...
إنهُ الآنَ يجلسُ منفرداً بالتذكّرِ
ينشدُ أشعارهْ
والمساءُ يحدّقُ في عتمةِ الدربِ،
أعمى ،
يرددُ حكمتَهُ :
[ لا الرحيلُ متاحٌ ..
ولا تستطيع البقاء ... ]
..........................
فماذا لديْكَ سوى الشعر ..؟!!
هل بملك الطيرْ ـ إن حاصرتْهُ الشراكُ ،
وداهمهُ الحزْنُ والشوقُ ـ
غير افتعال الغناء ... ؟!!

أسيوط ٢٤/٩/١٩٩٢

## تجليات (٣)

منْشغلاً بشهودكَ عنكَ ،
فلا تحرم جفْني كحلَ الوصْلِ ،
إذا الناسُ ..
بليلِ الجفوةِ والنأي اكتحلوا ...
محتجباً عنِّي بسناكَ ،
ولولاكَ
لما كانتْ بالمُقلِ المُقَلُ ...
ميالاً لخضوعي
ميْلاً مبتدئاً بالخلقِ ،
ومنْعطفاً نحو الصحبةِ ،
منكسراً عودي بالطاعةِ
والناسُ اعتدلوا ..
وابتهلوا كي يصلوا ،
وارتحلوا ،
وطويتُ علي ذكرك قلبَ القلبِ ،
مخافة أنْ يجلو عطرُك سري ..
مُذْ فاضَ بصدْريَ نهرُ الوجدِ ،
فهتّكني ...
لكنَّ ضلوعي بفيوضكَ بخلوا ...
وأمرتُ جفوني
أنْ تسدل فوق طيوفك

من شجرِ قيامي وسجودي ..

فامتثلوا...

بل حين اشتدَّ بقلبيَ كربي

ساءلتُكَ :

يا من جاهدَ فيه الجُهَّالُ بفرْطِ البحْثِ

ومــا وصلوا ...

هلْ يُذهِبُ حبُّكَ لُبَّ العشّاقِ

ويُبْقي الشوقَ لهم ؟!!

أم كلُّ الناسِ بلا عقلٍ

ومتى ذاقوا .. عقلوا ؟!!

أسيوط ١٩٩٢/١٠/٢٤

**مصارحة (١)**

[١]

فارغٌ مقعدي في قطارِ الصباحِ
فلا تأملي أنْ أعودَ إليهِ
ومخدعًا باردٌ منذُ عامٍ مضى ..
والسحاباتُ لا تحمل الماءَ ،
تحملُ في ظلها وجعاً ،
فاقلبي الصفحةَ الآن
ولْتكتبي البسملة ...
مقعدي لم يزلْ شاغرًا
والمخادعُ مسكونةٌ بالصقيعِ،
وبالوحدةِ القاتلة ...

مستحيلٌ هو الشعر
نعشقهُ حين يتركنا ،
ثم يسكنُ في اللحظةِ الفاصلة ...
ظلُّهُ المستحيلُ يقابلُني
والزوايا بحدّتها تحسمُ المشكلة ...
أنت في مستطيلِ الهمومِ تنامين ،
تفترشينَ البكاءَ،
وظلك يمتدُّ بي خلفَ كلِّ البقاعِ ،
ترافقُهُ جرأتي..

فاحمُ اللونِ هذا الصباح
ومرتعشٌ موْعدي ..
لن أجيء ، فلا تأملي أنْ أعودَ،
ولن أعتذر ...
فالنساءُ يعلمْنَ أطفالهنَّ البكاءَ علي ساعدي ..
والبناياتُ في المدنِ المستطيلة
مستودعٌ للحشيش ،
وللشعر ، والحزنِ ،
والغرْبة الماثلة ...
ليس في وطني جنةٌ للمواعيد ،
بل في البلاد جحيمُ انتظار ..
وفي القلبِ أنشودةٌ ذابلة ...

نحن جيلٌ
رأى أن يقامرَ بالقفزِ
خارج كل قوى الجاذبيةِ،
رغم ارتعاش الجناح الضعيف ..
فما زال في القلبِ متسعٌ للغرابة ،
والعنفِ،
والانقطاع ،
وللفظة الحائلة ...
هكذا الشعرُ
يسقطُ في الحزنِ
حين تحاصرنا الأسئلة...

[٢]

حين داهمني الحزنْ
أجلستني بين عينيْك ،
غسَّلتني بالدموعِ
فيممني الامتعاضْ ،
وقلتُ لقلبي : ترفقْ بهِ
فهو مازال طفلاً جميلَ الغناء ،
يحبُّ القصيدَ ،
ويبكي إذا مسَّ أوتارهُ الوجدْ ،
أو نسمةٌ حالمة ...
إنهُ شاعرٌ لا يملُّ الغناء
ويستعذبُ الوحدةَ الظالمة

يومها كنت أقسمتُ
أنْ أكتبَ الشعرَ في لونِ عينيك ..
لا شأن لي بالبلادِ...
لهذي البلادِ سواي من العاشقين ..
فهذا الذي في الفؤادِ اختُزن ..
سوف يقتلنا حزنُهُ
أو سيقتلُ أشعارنا بالشجن ..
ما أنا غير طفل يحبُّ الحياةَ
ولا يبتغي أن يموت شهيداً
لهذا الحزن ..
صار لي بين عينيك متكأ.

يملأُ القلبَ بالشعرِ ،
يملأُ ألحانهُ بالرنين الحَسَن

كنت أحسبُني عاشقاً للعيونِ الكواحلِ
حتى انفردْتُ بعينيْكَ ،
حدَّقْتُ فيهنَّ
أدركتُ كيف يصيبُ الفؤادَ الوهَن ..
لم يكن في عيونكَ كحْلَ الصبايا،
ولا سحرهن ،
لم يكن في عيونك
غيرُ الوطن ..!!

أسيوط ١٩٩٢/٥/١٥

## وحـــدة

وَحْدَهُ يبدأُ الأمسياتِ ،
يحدّقُ بالكونِ من شرفةِ الانتظار .
يحدّقُ ..
والثلجُ يُقْعِدُهُ في عراءِ السَّكن ...
وحدهُ والنساءُ يثرثرنَ عن عمرِهِ الغضِّ،
ينثرنَ ما فاتَ ..
ملحاً على جُرْحِهِ ،
ما مضى صارَ ثلجاً
تنتثرَ بين الضلوعِ ،
وفي شعرهِ ،
بارداً كالكفن...

كان من بين أشيائه ..
بلبلٌ من ورق ..
حين أدخلهُ صدرَهُ
كي يغرِّدَ للقلبِ أغنيةً
تستعيدُ الزمانَ بألحانها،
كاد أن يحترق ..
حين أشعلَ في دمهِ الذكريات ،
وأيقظَ في قلبهِ ما وَهَن ...
فاكتفي بالتبسُّمِ ،
رغم الصقيعِ ،
ورغم احتدامِ الحزن ...

وحدهُ والمواعيدُ تدخلُهُ
حين يبغي ارتداءَ الرياحِ جناحاً ،
وحين يمازجُ بين الذي في يديْهِ
وبين الذي في غيوبِ الزمن ...
كان في وسعهِ
أنْ يوزِّعَ أشعارَهُ في صدورِ العصافيرِ
لحناً شجياً ،
وفي البحرِ لؤلؤة من حَبَب .

وحدهُ يعشقُ الليلَ ،
فالليلُ كحلٌ بعين فتاة
أحبَّتْ به ما رأتْ من جنون ..
فأسكنها في دماءِ القصائد ،
لكنَّهُ ..
حين غادرَ قوقعةَ النخْلِ والطينِ،
خلَّفَها وحْدها للرؤى والشجن ...

كان في وسعهِ أنْ يموتَ وحيداً ،
سعيداً بمقْدمِها ،
حين راودهُ طيفُها ..
غير أنَّ احتضار الأهلَة
أجهض في قلبهِ ما وطن ..
كان في وسعه
أنْ يقول لها ما يُقال ..

كان في وسعهِ،
غير أنَّ الحروفَ التي تسكنُ الصدرَ ،
غادرها الوهجُ الشاعريُّ،
وخلَّفَها للسماءِ الرصاصِ ،
وللأمسياتِ الصدأ ..
كاد أنْ يبتدئ..!!
راح يرسمُ في دفترِ القلبِ نخلاً .. وطيناً..
وظلاً يسافرُ للعمقِ ،
يخلطُ ألوانَهُ ،
ثم يخرجُ للضوءِ
يكشف للناسِ والبردِ والارتعاشِ
بقايا البيوتِ بدفترهِ
في عيونٍ تثاقلُ أهدابُها بالوسن ...
حين يستوعبُ الفجرُ رعشتَهُ
يحتويه الضبابُ ،
فيختلطُ النورُ بالماءِ ،
تبتلُ أشعارُهُ بالتوجُّعِ ،
والصمتُ بالنغمِ المرتهن

وحدهُ يتركُ الأمسيات
يحدِّقُ بالكونِ
من شرفةِ الانتظار ،
يحدِّقُ ...
والصمتُ يغرقُهُ في ضجيجِ المدُنِ ...

أسيوط ١٩٩٢/٦/٢٨

## محــاولةٌ

قد أجرؤ يوماً ..
أن أدخلَ جلدي منفرداً،
وأغلِّقُ خلفي أبوابَ الصمت،
أغادرُ كلَّ شراكِ العتَهِ اليوميِّ،
عيالي ...،
زوجي ...،
رفقاءِ الثرثرةِ الفجَّةِ،
ومديرِ المدرسةِ الأميِّ ...

قد أجرؤ يوماً ..
وأحاولُ أنْ أطرحَ نفسيَ
في بحرِ الظُلمةِ
مبتلاً بالعرقِ وبالماضي ..
أتطَهَّرُ من غُرْبَةِ وجهي ،
وأفتش عن ولدٍ طينيٍّ
يختبئُ هناكَ ... بعيداً ...
تحت ركامِ الخطوات العجْلى ،
والأرَقِ الليليِّ ،
ونشراتِ الأخبار ...
أسمعُهُ حين يئنُ ، وحين يغني ،
أخرجُهُ ملتبسا بالشّعرِ
وباللحنِ الضائعِ من شفتي ،

يخرجُني من صمتي ..
فأغنّي حين يهدهدُني :
[ كان سارحْ كان فالحْ
كان رايح يْجيب عنَبْ
والعنبْ تاكلو الحبايب
تدَّعيلُه يعيش يا رب ] *

من أينَ يجيء اللحنُ ويدخلُني؟!!
يا ... منذُ متى
يسكنني هذا الولدُ / الموسيقى ..!!؟
......................................
أخرجُهُ مزدحماً بالأمسِ ،
فيَخطو بالغرفةِ عفريتًا .. طينياً
في ثوبٍ ..
مزّقَهُ شوكُ الليمونِ،
طلوعُ النخلِ ،
وملْحُ الخيْبَةِ ،
وشتاءاتٍ شتّى...
ثوبٍ .. مزَّقَهُ لفحُ حصادِ القمحِ ،
وسِنّارُ القطنِ...
أدندنُ وحدي :
[ ويا لوزه شبّي وقبّي
ويا لوزه إملي عبّي
ويا لوزه فوق في العالي
أطلع لك واللا نازله لي...] **

قد أجرؤ يومًا ..
أنْ أتحسَّس في صدري شعراً
يدْمي في شفتي لوزَ القطنِ ،
وأعنابَ الأحلامِ .
شعراً .. يكتبني ...

حين أحاولْ أنْ أكتبَ
عن ذاكَ الولدِ الطينيِّ
المختبئِ بعيداً... خلفي ...
أصحو ..!!
فيعود الضوءُ إلي الغرفةِ ،
يأخذني لشراكِ العتهِ اليوميِّ،
عيالي ،
زوجي ،
رفقاءِ الثرثرةِ الفجَّةِ ،
ومديرِ المدرسةِ الأميِّ.

أسيوط ١٢/١١/١٩٩٢

* من أغنيات المهد الشعبية للأطفال .
** من أغنيات جني القطن الشعبية بتصرف .

## رجـــوع

[١]

في سبتمبر / أيلول
في الثامن والعشرين
من عامِ الحزنِ العربيِّ..
جاء ملاكُ الموتِ
فأخرجها من رهَقِ الدنيا ..
صيَّرها حيثُ يشاءُ الله ...

[٢]

في اليومِ التالي والعشرين
صارَ الوطنُ إطاراً لملامحِ صورتهِ ،
وامتدت في الأرضِ جنازةُ حلمِ
يعشقُهُ البسطاءُ ..
كلُّ الموتى في وطني
من ماءِ النيل نغسِّلُهُم،
لكن حين أرادوا ..
كان الغُسْلُ دموع الفقراء

[٣]

بعد سنينٍ فاجأهم ..
حراسَ الأضرحةِ الزورِ،
وقوّادي الكلماتِ ،
لصوصَ قبورِ الموتى،
حين أطلَّ عليهم
في وجهِ تلاميذِ مدارسهم ،
وعيونِ العُمَّالِ المرهقةِ
المكتحلةِ بالحزن وبالسهر الليلي
فاجأهم .. دونَ إطارٍ
تمتدُّ ملامحُهُ في الوطنِ جميعاً ..
لم تقتلْهُ الغيبةُ .. لم تمنَعْهُ الأسوار ...

أسيوط ٢٥/٥/١٩٩٢

# جئت كي أقول

## إهداء

إلى أستاذي

عثمان رضوان الجندي مدرس اللغة العربية بمدرسة قصر العيني التجارية عام ١٩٦٠، منك البدايات وإليك .

## تقديم

# جئْتُ كيْ أقول ...

منْ يعشق الأسماءَ والأفعالَ والحروف ..
لا بد أنْ يقول ..!!

لذا أتيتُ يا أحبتي
وفي يديِ زنابقُ الحقولْ ..
ترْتجُ بالشِّفاهِ أحْرُفي ..
ويعْثرُ اللسانُ منْ تلهّفي ..
بحرفيَ الخجولْ ..

ما هزّني تبدلُ الظروفْ ..
ما ردّني أنْ غلّقوا منافذَ الوصولِ للربيعِ بالخريفْ ..
عبرْتُ دربيَ المزروعَ بالثباتِ والوقوفْ ...
وجئتُ كيْ أقول ..
وجئت كي أقول ..

من يعشق الأسماءَ والأفعالَ والحروف ..
لا بدَّ أنْ يقول ...

درويش الأسيوطي
أسيوط ٢٠٠٥

## حين تغيبُ ..

وحين تغيبُ ..
يخامرُني الشكُّ في كلِّ شيءٍ عذاكَ ،
فأرحلُ في سفنِ الركْضِ ،
أقتاتُ خُبْزَ التغرُّبْ ..

وحين تغيبُ ..
أطارحُ كلَّ الخيالاتِ شعري
وأشتاقُ ما كنتُ أكتبْ .
فأرحلُ خلفكَ ..
حيثُ النوارسُ مرسومةٌ في جناحِ السماءِ ،
وحيث الجزائرُ مغروسةٌ في جبينِ المحيطِ المُقَطَّبْ .
وحيث الزوارقُ تدْمنُ حلْمَ الرجوعِ
إلى شاطئٍ في الخيالِ المغيَّبْ .
ولكنَّ كلَّ الموانئِ تغْلقُ برزخَها في عيوني ،
وكلَّ المصابيحِ تهربْ ..
فلا السفْنُ الراحلاتُ تعودُ إليَّ ،
ولا الشوقُ بالقلبِ ينْضُبْ ..!!
وآهٍ منَ الانتظارِ المعذَّبْ ..
وآه من الانتظار المعذب ..
فبينَ الرجاءِ .. وبين القنوطِ ..
يخامرني الشكُّ في كلِّ شيءِ عداكَ ..
فأكتبْ ..!!

## الرحيلُ نحوَ الشمالِ

لبثْتُ طويلا أُسائلُ نفسي :
لماذا .. لماذا .. لماذا الشمال ؟
وماذا هناك ليجري إليهِ أبي النهرْ ،
ربُّ الضفافِ عجولا ، يهرولُ ،
يقطعُ أنفاسَهُ الركضُ نحو الشمال .!!؟

وريحُ الجنوبِ تهبُّ منَ النارِ ،
تلفحُنا في الحقولِ ،
فنهربُ منها لظلِّ النخيلِ ،
وتهربُ منَّا .. تجَاهَ الشمال
وتتركُ فوقَ الوجوهِ التُرابا ..
وتتركُ فوقَ الشفاه السؤالَ :
لماذا لماذا .. لماذا الشمال ؟!!

وأخرجُ للنيلِ أحملُ عشقَا
لموجٍ يفضضُهُ في الظلامِ القمرْ ..
وأحملُ بين الحنايا السؤالَ ..!!

أشار لي النهْرُ
إلزمْ هدوءك ،
لا تزعج السُفْن والحالمين ،

تنامُ على سُرّةِ الموجِ ،
يحملُها الشوقُ ،
يمضي بها الحلْمُ نحو الشمال ..!!

يغنّي المسافرُ نحوَ الشمالِ سوادَ العيونِ ،
وما أكثر الأعين السود في قريتي !!

يغني المسافرُ نحوَ الشمالِ هوى الأرضِ
والزرعِ والاخضرارْ ..
وما أجمل الأرض في قريتي ..
بلونِ الوجوهِ ..
وأغلى لدى الناسِ من كلِّ مال ..!!

وغنيتُ ..
غنيتُ ..
حتى زرعتُ السماءَ مواويلَ خضْرٌ ..
طيورًا تهاجرُ نحوَ الشمال .. !!
وظلَّ السؤالُ :
لماذا .. لماذا .. لماذا الشمال ؟!!

وتأتي مع الريحِ أغنيةُ الموجِ ،
من كل فجٍ يعودُ الصدى ..
رسائلَ شوق ..
أحسُّ بصدري دفءَ الرمالِ ،
أرى الشاطئَ الذهبي دمي ..
وتنبضُ فيه الحياةُ .

فتصحو المدينةُ ،
ألقي على خدِّها الأعجميِّ الشفاه .

ويحملني الشوقُ في سفنِ الركضِ نحوَ الشمال
وتبدو المدينةُ ،
شوارعُها المستقيمةُ كالسَّرْوِ ،
تبدو عمائرُها النخلُ ،
تبدو النوافذُ كالحلمِ ،
نسمتُها العبقريةُ سكرى تجوبُ الميادينَ..
في زفَّةِ الضوءِ واللونِ والأغنيات .

أهمسُ للشاطئِ المرمريِّ :
أتسألُ أين الجنوبُ .. وأين الشمال ؟ ..!!
هي الاتجاهاتُ وهمُ المسافرِ،
خيطٌ تُهالُ عليْه الرمال ..
فلا الشرقُ شرقٌ ، ولا الغربُ غربٌ ،
وليس الشمالُ بعيني الشَّمال ..
شمالك حيث ترى ما تمنيْتَ ..
وحيث يرفُّ جناحُ الخيال ..
وقدْ يُخْدعُ الناسُ في أمرِهم
فنحسبُ أنَّ الشمالَ .. شمال ..!!

لهذا ترانا نغنِّي ..
ونحلمُ ..
أنَّا سنرحلُ يومًا تجاه الشمال ..

## لا تفزعْ

لتلوي فارسَ الفرسانِ في ثقةٍ
عنانَ جيادِكَ السُّرَّعْ ..
ولا تفزعْ ..
ــ أخي الإنسان ــ لا تفزعْ ..
بكفِّي لم يزلْ يا فارسَ الأيامِ كلُّ الأمرِ،
مُرْ أيامَنا ، تصْدَعْ ..
وما زالت أمامَك فرصةُ التجوالِ في أيِّ الدروبِ تشاء ..
سيان لديك إنْ تُبْطئ .. وإنْ تسرعْ ..!!
فهل يعنيك طولُ الدربِ إنْ دانتْ لكَ الأزمان ؟!!

لتغمضْ يا أخي عينَيك ..
وافتحْ طاقةً للنورِ في صدرك ..
لتبسطْ كفَّكَ البيضاء بالإحسانِ
تملأها الصبايا الحور بالأقمار ..
أضئْ من نورها الأكوانِ ..
لا تفزعْ
ــ أخي الإنسان ــ
لا تفزعْ ..

وعودُ الحلمِ إنْ عبثتْ به الأيامُ ..
لا تفزعْ ..

سيزهرُ عودُك المُضنّى سنابلَ خُضْرْ ..
وفي كلِّ حديقةٌ زهْرْ ..
لتفرشَ دربكَ الغيميَّ بالألوان ..!!

وإنْ ضاقتْ بكَ الدنيا ..
وأظلمَ سقفُ هذا الكونِ بالأحزانِ ..
لا تفزعْ ..
وغنِّ الحبَّ للأطيارِ والأمواجِ والشطئان ..
ستفتحُ رنّةُ الألحانِ
في سقفِ الزمانِ الصخْرِ ـ طاقةَ قَدْرِ ..!!
منها تنزلُ الرَّحمَاتُ للإنسان
منها تشرقُ الأنوارُ في قلبٍ به الإيمان ..
لا تفزعْ أخي الإنسان ..
لا تفزعْ .

## الدخولُ في سراديبِ الأيامِ

وأفتحُ عينّي ،
ـ وأبصرُ رغمَ ظلامِ السراديبِ ـ نورا ..!!
فأصرخُ :
ها أنتَ قد جئْتَ ..!!
رغم ظلامِ الدروبِ ،
ورغم احتضارِ المواويلِ والأغنياتِ بصدري ،
ويعوي الصدى ،
تدمْدِمُ في ظلْمةِ الخوْفِ أحرفُهُ الدائريةُ :
ها أنت ..
ها أنت ..
ها أنت ..

أدورُ مع الأمسِ ،
أدخلُ ،
أحفرُ في رهبةِ الوهمِ دربا لِيومٍ جديدٍ يطلُّ ،
فأعرفُ فيه ملامحَهُ المنهكة ..
واسمعُ منهُ الحديثَ بلكْنتهِ الأعجميةِ ،
أرجوهُ أنْ يرفعَ الصوتَ حتى يبينَ ،
[ تكلَّمْ ..]
ويعوي الصدى بالدروبِ المدورةِ المعتمة :
تكلمْ
تكلمْ
تكلمْ ..

وأمضي..
وأتركُ عندَ انحناءِ السراديبِ
مفتاحَ بيْتي
جوازَ السفرْ ،
وأتركُ أجفانَ عيني فوقَ الجدارِ علامة ،
وأخلعُ عندَ التواءِ الدروبِ لباسَ المطر .
وأدخلُ عمقَ الزمانِ كما جئْتُ
يومَ التقى النهرُ بالبحرِ ،
أُصبّحُ زبْدًا ، جفاءً يضيعُ مع الموجِ ،
يلقي على الشطِّ مُرَّ الرؤى ..!!
وأبصرُ نفسي ،
وقد أصبحَ الزمنُ البرزخُ اللا نهائيُّ حقلَ مرايا ..
تكشّفُ كلَّ التفاصيلِ ،
تُخْجلني عورتي ،
يستبدُّ بيَ الهلعُ الوثنيُّ ، فأصرخُ ،
صوتي يحطمُ كلَّ المرايا ،
أصيرُ شظايا زجاجٍ قديمٍ ..
ويعوي الصدى :
تدمدمُ في ظلمةِ البرزخِ اللا نهائيِّ أحرفُهُ الدائريةُ :
من أنت
من أنت
من أنت؟!

وأمرقُ عبرَ السراديبِ ،
أبحثُ عنْ وجهِكَ المستفزِّ ،
أعانقُ رؤياك في كلِّ وهمٍ ،
فأُصبحُ أعمى ..
وتسبحُ فيَّ معالمُ وجهِكَ ...
تمرُّ على القلبِ ، تطرقُ ،
تدخلُ ،
قفْ عندَ مملكةِ الزمنِ / الانتظار ...
ولا تأتِ ..
لا تأت ..
إني عرفتُك ..
إني عرفتُك .. إني عرفْـ ...

## تنويعاتٌ على نغمٍ مبهم

**النغم :**

يقــولُ الأبكمْ الصامت     أنا الشـــــاعـــرْ
يقول الفــاجرُ الكــافر     أنا الطـــــاهـــرْ
يقولُ النـــاسُ يا ليلي     وليلي ما لَهُ آخــرْ
أغنيــــكم ، وأغنيتي     كيمٍ بالأسى زاخــرْ
فإنْ أبهمتُ يا صحبي     فقولوا إنّهُ مــــاهرْ
وإنْ أوضحتُ ما أعني     فعفوًا ، هكذا الشاعرْ

**تنويعة أولى :**

تسوّرْ سورَك المسجونَ بالحراسِ
واستطلعْ طريقَ الشامِ ..
فعلَّ الفدية الكبرى
تُساقُ نياقُها السُّرَّعْ ..
على عجلٍ إلى قيْصرْ ..
و لا تيئسْ ..
فـ [ سيفُ الدولة ] المجروحُ لن يصبرْ ،
فإنْ غابتْ شموسُ الكون يا أبتي
ـ وراء غمامة الأحزان ـ
قد تطلعْ ...!!

**تنويعة ثانية :**

نمْ يا فارس [ اليرموكِ ]
خلِّ السيفَ ،
خلِّ الرمحَ ،
هاتِ الشعْرَ ،
من يقرأ ومن يسمع ؟!!
وجدنا من يعلمنا
فنونَ الشعرِ والنثرِ،
عدمنا من يعلمنا
فنونَ الكرِّ والفرِّ ..
وبدلنا رياش الملكِ بالمدفع
وصاحَ على نواصينا
صغارُ الصبيةِ النخاسُ ..
من يدفعْ
ومن يدفعْ ... !!
وباعَ الجائعُ العطشان للشيطانِ
ــ يا ندمي ــ ولم يرجعْ ..!!

**تنويعة أخيرة :**

تهرأ جلدُك المصلوبُ تحت الشمسِ يا أبتي ..
وما زالتْ حبالُ الصبرِ ممتدة ...!
وما زالت جراحُ القلبِ داميةً ..
وما زالت جموعُ الكفْرِ والرِّدّة
تساومُ ،
تشتري تاج العروسِ البكرِ باللقمة ..!!
ألم يبلغْ أيا أيوب صبرُك
ــ يا أبي ــ حده ؟!!...

## الخليلُ في لحظةِ الامتحان

ويأتي مع النورِ لونُ الدماءِ ..
ويصْطبغُ الحلمْ بالخوفِ ..
تمرقُ بين النياطِ الحروفُ ،
تدمْدمُ :
اذْبحْهُ واصدعْ إذ اللهُ شاءْ ...

وينتفضُ القلبُ خوفًا ورعْبًا ،
فيستغفرُ اللهَ ،
يذكرُ أنَّ الشياطينَ توحي إلى الناسِ ...
لكنْ ...
أعوذُ بسلطانِكَ الأبديِّ إلهيَ
من لعنةِ الوهمِ والافتراءْ ...
فما كانَ هذا سوى الحبِّ والخوفِ ،
: يا فلذةَ القلبِ إني أراكَ
تسلمُ رأسَكَ للذبْحِ طوعاً لأمرِ السماءْ ...!!

:[ تباركتَ ربي
تفردتَ بالعفوِ عمن سواك ...
تعاليتَ ربَّ المَشيئةِ أنْ تفعمَ القلبَ بالوهمِ
والقلبُ مرآةُ عبدِكَ ..
إنْ أظلمَ القلبُ أنَّى يراكَ ؟!!]

ويأتي مع النومِ صوتُ المشيئةِ :
ها قد أُمرتَ ...
فهلْ أنتَ قاضٍ بهِ ما أمرت ؟!!
ويندكُ صرحُ الترددِ ،
نادى :

إلهيَ إني منَ المسلمين ...
وما كانَ حلميَ محضُ التوهمِ
ما كان من نفثاتِ اللعين ...
فقد كان رؤيا ،
ورؤيا النبيين وحيٌ
وليس عليها لشيءٍ سبيل ...!!

وقام الخليلُ يصلي ويدعو
فقد حصحصَ الحقُّ ،
وانجلتِ الأحرفُ الدامياتُ عن الأمرِ ،
هل يملكُ العبدُ شيئا أمامَ المشيئةِ
غيرَ الرضاءْ ..؟!!

ويأتيه صوتٌ غريبُ التسللِ ،
يهتفُ :
مهلا ...
أتذبحُ طفلَك ؟ !!
هذا جنونٌ وربِّ السماءْ !!
فما كان ذاك سوى الوهم ..!!
قد كان حلما ..
هراءٌ .. هراءٌ ... !!!

[ عرفتُك ] ..
يهتفُ قلبُ الخليلِ ،
[ عرفتُك ] ..
يحصبُ وجهَ اللعينِ ببعضِ الجمَارْ ..
[ عرفتُكَ ] ..
يلعنُهُ في السريرةِ .. ،
يمضي إلى الطفلِ ،
قد قرَّتِ النفسُ صبرًا ،
قضاءُ المشيئةِ ينفذُ ،
لا يملكُ العبدُ شيئا سوى الامتثال ...!!!

ويشرقُ بالنورِ وجْهُ التلال ...!!!
..................................................
أتلك هي الشمس ؟
أمْ أنَّها عينُ هذا الوجودِ ..
وأدمعُها الضوءُ ،
والخدُّ هذا المكان ؟!!!

أهذا هو الصخرُ في عنفوانِ الصلابةِ ..
أمْ قلبُ [هاجَرَ] أمِّ الزمان .. ؟!!

أتلك هي الطيرُ ..
أمْ أنَّها القلبُ في صدرِ ذاك الصبيِّ النبيِّ
تقلبُ في لحظةِ الامتحان ؟!!!

وأنصتت الأنجمُ الغائباتُ وراءَ الضياء ..
أطلت ملائكةُ الأرضِ ،
مُلْكُ السماء
تسبحُ للهِ في كلِّ آنْ ...
وترفعُ للهِ كفَّ الرجاءْ ...

يقول الفتى للنبيِّ الأمينِ :
أنْ افعلْ أبي ما أمرتَ ...
ولا تملأ العينَ منّي ..
عسى أنْ أكونَ من الصابرين ... !!

وينهمرُ العطفُ منْ كلِّ حدْب ..
يدقُّ على صفةِ العفوِ بابَ المشيئةِ ،
رحماك .. أنتَ الرؤوفُ الرحيم ..
وعفوك .. أنت العفو الكريم ..

وصوتُ المشيئةِ قدْ نزَّلَ الأمرَ
وارتفعَ الكفُّ ـ كفُّ الخليلِ الجليل ،
وأسلمَ للذبْحِ قلبَ الخليلِ وهاجرَ ...
عمَّ الوجودَ سكونٌ ثقيلْ ...
..........................
وفي لحظةٍ فذةٍ من زمانٍ جليلْ ،
تنزّلَ من باحة العفوِ
كبشُ الفداءْ ...!!!

## النومُ إلى يسارِ المنْبر

جاءَ وفي كفّيْه الشمسُ ،
ورأيتُ بعيْني كيف تَساقطَ منها
برْدُ الحكمةِ فوقَ دروبِ التأويل ...

صلّى بالناسِ صلاةَ مقيمٍ ، وتنَفّلْ .
يمّمْتُ يسارَ المنبرِ ، نمْتُ ،
حلمْتُ بما يهواهُ العابدُ ،
آنستُ النارَ ،
وسرْتُ وراءَ الخَضِرِ على الماءِ ،
عُلِّمْتُ من العبدِ الصالحِ أنَّ السؤْلَ بلا خُبْرٍ بِدْعة .

أيقظني رجعُ صياحِ الناس ،
ورأيتُ الرجلَ القادمَ من سفْرِ الإبهامِ خطيبًا ،
قال :
وأحلُّ لكم
ما حُرِّمَ في عهدِ الدهماءِ السوقة ،
إنْ تأخذْ مالَ الغِرِّ فلا إثمَ عليْك ...
فالمالُ لربِّ المال ،
يقولُ لكم ــ لا تؤتوهُ السفهاءَ ــ
وفسوقٌ أنْ تُعطي من يأخذُ دونَ الشُّكْر ،
وأبحتُ لكم
أنْ تمشوا في الأرضِ فرادى ...
مثنى وثلاث ..
قل سيحوا فيها يأتيكم مالُ الغرباء ...

قمتُ ببابِ القريةِ أسألُ بعضَ الناسِ العفوَ ،
تقاذفني سيلُ الحراسِ المتدفقِ من أفواهِ الطرقات ...
أخذوا بيديَّ إلى المسجدِ ،
قالوا :
لا تسألْ ..
ألحفْتَ فلُذْ بالصمت ،
أو فاسأل إنْ شئتَ عليما .

قامَ الرجلُ القادمُ من سفْرِ التهويمِ خطيبًا ،
طنطنَ ،
عنعنَ ،
مثَّلَ دورَ الناسكِ والمغلوب ،
قامَ ببابِ المسجدِ يأخذُ بيْعتَهم
كانوا اثنين :
أعمى لا يبصرُ مَنْ صلَّى خلفَه ..
وعجوزٌ نفضت يدَها من كلٍّ مراسيمِ التنصيب .

قلت :
أما يكفي أنْ صرتَ إمامًا .. علمًا .. بعد التنكير ؟!!
بصقَ الناسُ الزورَ بوجهي ،
قالوا :
مدسوسٌ مأجورٌ ، سكِّير ...
قلت :
البيعةُ لا تُؤخذُ قهرًا ...

قالوا :

من أين ملأتَ وعاءَك .. موتورٌ .. موتور ...

قلت :

الشورى رأسُ الأمرِ ، عمادُ الدينِ ...

تغامزَ أولُهم ،

حوقَلَ آخرُهم

صاحَ الناسُ بوجهي :

هذا دجالُ الزمنِ المذكور ...!!

قالَ السيد لحواري الإفك :

خُذُوه ،

من عينيْهِ تُطِلُّ الفتنةُ ،

لا يقرب مجلسَنا فتَّان ..

ولا يدخل فينا إلا من سبَّحَ بالحمْدِ ،

وطهَّرَهُ الغفران ...!!

صاحوا : أُخرجْ عنَّا ..

يكفينا تخريجُكَ معنى الإفكِ من التبْيان ...!!!

يممتُ يسارَ المنْبرِ ،

نمتُ ،

حلمتُ ،

حلمتُ بما يهواهُ الصابرُ ..

وحلمتُ بما يكرهُهُ السلطان ... !!!

## ترنيمةٌ منْ دفترِ العشقِ

[ وبعض الهوى بالهجر يمحى فيُمّحي
وحبك عندي يستجدُّ ويربحُ ]

[ ذو الرمّة].

أحبُكِ ...
رغم احترافك بيعَ الملامحِ للمارقين ..
ورغم اختيالك بالقسماتِ الغريبةِ للفاتحين ،
ورغم صلاتك خلْفَ المضلِّين والآثمين ،
ورغم اعتناقِك كلَّ المذاهبِ كفرًا بما تعشقين ..
أحبك ...!!

أحبك رغم انتعالك وجهَ الحقيقةِ ،
رغم اليقين ،
بأنَّ الملامحَ فيَّ ستبقى ،
وأنَّ الوجوهَ الغريبةَ لا بد ترحل ،
تُمحى من الوعي لو بعد حين ...
وأنك والعشقَ كلُّ الحقيقةِ ..
عينُ اليقين ...!!

يقولونَ إنَّكِ ضاجعْتِ قيصرَ .. كسرى ..
وعثمان .. والآخرين ...

وإنك منذ احتلامكِ

قايضْتِ بالخبزِ دفءَ الفراشِ ،

ولا تنكرين ...!!

يقولون إني أتيتُ سفاحًا ـ بحجرِك ـ

لا تذكرينَ مَنِ الفارسُ المبهمُ القسماتِ

التَّقَوّسَ لحظةَ إطفاءِ قيظِ التلذذِ والاشتهاء ..

وإنَّ الذي ...

لم يقلْ أينَ يمضي ،

ولم تسأليهِ الهويةَ ،

كلّ يجيء ...

وكلّ يفيءُ إلى ظلِّ شعرِك وقتَ الهجيرِ

طوالَ السنين ...

وأعلم أني أتيتُ

لأنَّ الإرادةَ منكِ الوجود ،

ومنكِ القبول ،

سيان جرى في عروقي ماءُ اشتهائكِ

أم في العروقِ دماءُ المغول ...

فإني أحبك ..

وأعلمُ أنَّ الذي قِيلَ لم يرعشِ الطرفَ منْكِ ،

وأني برغم الدماءِ الغريبةِ ،

رغم الأراجيفِ والتُرَّهات ...

أُرَدُّ إليك ..

أراهقُ ..

أكتبُ في سحرِ عينيْكِ شعرًا ،
ككلِّ القصائدِ والأغنياتِ على شاطئيْكِ ..
تقول أحبك ..

لأني أحب ..
حسبتُكِ حين تضمينَ قيصرَ
لا تقصدين العناقا ،
وأنَّ فراشَكِ ما زالَ طُهْرًا ...!!
وأنك رغم انطراحكِ للبغي
ما زلتِ بكرًا ..
وأنك رغم انطباق شفاهيَ لا تجهلينَ
الغرامَ الدفين
وماذا تخفَّى وراءَ الحروفِ
إذا ما طفقتُ أنادي عليكِ ..
وقد لا أبين ... !!

أحبك رغم الذي قلتُ عنكِ ..
فهل تفهمين ؟!!

## أنا الكونْ

أنا الكونُ ،
من داخلي ينبعُ الخلْدُ نهرًا من الخوفِ
تسبحُ فيه الشموسُ ،
تضيءُ البرازخُ ،
تُظْهِرُ ما بعدَ بَعْدي..
و ما قِبْلَ قَبْلي ...!!

أنا الكونُ ..
قلبي ثمالةُ هذا الوجودِ ..
وفيضُ التجلِّي

أنا الكونُ
من لحظةِ الخلْقِ..
والانتقالِ من الصمتِ حين الثباتِ
إلى سجدةٍ للملائكِ حولي .. !!

أنا الكونُ
بالقلقِ المستبدِّ أخالطُ هذا الزمانَ الفناءَ ..
وأعلمُ أني ــ برغم افتعالِ الوجود ــ
سأفنى ،
ويبقى الذي قالَ : كُنْ ...
وأسجدَ كلَّ الملائكِ حولي ...

## تأملاتٌ في أحداثِ عامِ الفيل

تقولُ النبوءةْ
أنَّ السماءَ ستحنو على الأرضِ ،
ترضعُها لبنَ المستحيلِ ،
وتورقُ كلُّ المواقيتِ بالبشْرِ ،
تسجدُ صمُّ الرواسخِ للحقِ ،
منْ صَوَّرَ الكائنات ،
ومن يمسكَ الأرض كي لا تميدَ بنا ،
أو نضلَّ السبيل ... !!

تقولُ البشارةُ في كتبِ الرُكَّعِ الساجدين :
سيبعثُ في آخرِ الدهرِ منْ يُكْمل الدين ،
منْ بطنِ مكة ،
يتلو الكتابَ ،
ويهدي إلى الحقِّ كلَّ الخلائقِ ،
يأتي رسولاً إلى العالمين .

وقالت يهودُ لأحْبارِها :
تربَّصْ أُخيْ يهود بهِ ،
فنحنُ بنو الرسْلِ ،
منَّا الرسالاتُ ،
من بيننا يخرجُ الأنبياءُ ،
ودون البشر ...
وثار [ الأشيْرمُ ] :

كيف وأنت الزعيمُ الجليلُ
تجيءُ لتبحثَ أمرَ النعاج ؟!!!

يقولُ الكريمُ :
أنا صاحبُ العيرِ .. أحمي حماها ...
وللبيْتِ ربٌّ سيحمي حماه ...!!

وقالت :
رأيتُ بيَ النورَ ..
والنورَ منّي يضيءُ لي الشامَ قصرًا فقصرا ..
ويخرجُ مني ليعرجَ حتى سماءِ السماء ... !!

وقال الجميعُ :
سيُحْدِثُ بالطفلِ ربُّك أمرًا ...

وفي ليلةٍ من ربيعِ الزمانِ ،
تقاربَ ما بين هذا الترابِ وتلكَ السماء ،
وأشرقَ بالبشْرِ وجهُ الزمانِ ووجهُ المكان ...
وقيل :
وفي ذلك اليوم إيوانُ كسرى تهدَّم ..!!
وأطفأ ربُّك نارَ المجوس ..!!
وغاضتْ بحيرة ..!!
وفي اللوح خُطَّ مع الذكرِ لفظٌ
سيبقى مدى الدهر أحمد :
محمد .. محمد .. محمد

## صفحاتٌ منْ مذكراتِ وضاحِ اليمن ( ١ )

### الصفحةُ الأولى :

يوسوسُ في الأذنِ الصمتُ
أنَّ الوليدَ (٢)
سيصدرُ أمرًا لمن يعلنونَ
بأنك بعْتَ اعترافَكَ بالذنبِ بالموتِ ،
واستعذبَ الناسُ أنَّكَ
ـ رغم افتتانك بالحسن ـ
قدْ صرْتَ سقَطَ المتاعِ ...
وأنك لنْ تبلغَ المستحيلَ بموتِكَ ..!!
فالكلُّ يومًا يموتُ ،
كذلك أنت ...!!

وليس غريبًا على الناسِ
أنْ يُلْبِسوا الحقَ بالزورِ
لكنْ غريبٌ توكلُّهم وانتظارُ الصباحِ..
إذا كان ليْلُهُمُ السرمديُّ يلُفُّ المنازل ..!!

**الصفحةُ الثانيةُ :**

لأني عشقتكِ [ أمَّ البنين ]
وأوقفتُ شعري على مقلتيْكِ ،
وخاطبتُ وجهَكِ في كلِّ وجهٍ ،
وبين جنودِ الوليدِ اندسستُ ،
تمليتُ وجهَكِ ، طلعتَكِ الأمويةَ ،
صحْتُ بحبِّكِ ،
أذَّنْتُ في الناسِ أنَّكِ لي ،
رغم أنفِ الوليدِ ..!!

تسوَّرْتُ قصرَكِ ،
راقصتُ خصرَكِ ،
ضمختُ ثوبيَ من عطرِكِ الملكيِّ ..!!
وأني وجدتُكِ ــ رغم البنين ــ
وجدتُكِ بكْرًا ..
ليفعلْ بنا ما يشاءُ الوليدُ،
ليرصدْ من الجندِ ما شاءَ في كلِّ دربٍ
تعودْتُ أنْ ألتقي برسولك .

[ أمُّ البنين ] تحبُّ فتاها ..
وتعرفُ ماذا يروِّيه
إنْ يعطش العاشقُ المستهام ..!!
وتعرفُ أني ــ كما العاشقين ــ
أهيمُ فأذكرُها في الصلاة ..
وأدعو لها بالْتفات السلام ...!!

## الصفحةُ الثالثةُ :

يقولُ المضلونَ إنَّ الجزاءَ كما في الكتابِ على المفسدين
وأفتى كبيرُ العمامةِ أنَّ الوليدَ برىءٌ.. برىءٌ..
فما امتدَّ سيفُ الوليدِ إليّْ ،
ولا حوَّطَ الجنْدُ قلبيَ بالطعناتِ ،
ولكنْ .. قضاءً أموتُ ..
وهل يملكُ الناسُ ردَّ القضاء ؟!!

وأُشهدَ من كانَ حولَ الوليدِ
بأنَّ الوليدَ برىءٌ
براءةَ عمِّ الوليدِ المعظَّمِ
من سفحِ ماءِ النبوةِ في كربلاء ...!!

## الصفحةُ الرابعةُ :

شهدتُ مع الناسِ أنَّكَ أنتَ الوليد البريء ،
وأني خرجتُ من الحضرةِ الأمويةِ حيًا ،
وأني حُملتُ على العاتقيْن ..!!

وأشهدُ أني لعنتُ الوليدَ نهارًا جهارًا ،
وأن الوليد تعفَّفَ ،
قال كبيرُ العمامةِ :
يعصمُك اللهُ يا سيدي بالصيام ..
فأدخلَهُ اللهُ في الصابرين ..!!

**الصفحة الخَامسة :**

قالتْ : فإنَّ البحرَ من دوننا قلتُ: فإنّي سابحٌ ماهرُ
قالت: فان القصرَ من دوننا قلت: فإني فوقَهُ ظاهرُ
قالت: فحولي أخوةٌ سبعةٌ قلت: فإني غالبٌ قاهرُ
قالت: فإن الله من فوقنا قلت: فربِّي راحمٌ غافرُ
قالت: لقد أعييتنا حجة فائتِ إذا ما هجعَ السامرُ
فاسقطْ علينا سقوطَ الندى ليلةَ لا ناهٍ .. ولا زاجرُ (٣)

**الصفحةُ الأخيرةُ :**

تدثرتُ بالصمت ،
لملمتُ تابوتَ موسى على جسدٍ أنهكتْهُ التهاويمُ ،
أبحرتُ في يمٍّ صمتي ،
أنصتُّ للخطو ،
يبعدني عنْكِ جذرُ التأملِ ،
أمسكُ بالصمت ،
لنْ يرحلَ الصمتُ إثْرَ الجنودِ ، وأبقى ..!!

[ تنبأ ] ...
يقول لي الصمتُ همسًا ،
أقولُ لهم :
سوفَ تنبتُ من حبةِ القلبِ لؤلؤةُ الياسمين ..
تهيمُ بها كلُّ جاريةٍ من جواريك ،
تعشقُها الفاتنات،
ويقطفُها من يحبك ..[ أم البنين ]

---

١. شاعر شهير ، تشبب بأم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك ، فوضعه في تابوت ودفنه حيا .
٢. الوليد بنْ عبد الملك الخليفة الأموي .
٣. الأبيات للشاعر وضاح اليمن .

## الخروجُ من سراديبِ الأوهامِ

أجيءُ إليك ..
أثوبُ إلى الحقِ ،
أتركُ زخرفَ ما قد رأيتُ بهذي الحياةِ ،
فقد غرّني شارعٌ ملتحٍ بالضبابِ ،
وبالواجهاتِ المضاءةِ ،
أيقنتُ أنَّ الضياءَ يجيءُ مع الساقطاتِ ،
من الأرضِ ،
ينشعُ عبرَ السراديبِ ،
يسبحُ في نتنِ السكْرِ حين تُغَشّي عيونُ السقاةِ ،
فيخلطُ بعضُهُمُ الدَّمَ بالخمرةِ الْـقاءَها الناسُ ،
يشربُها الواهمون ،
فيوقنُ ـ مثليَ ـ بعضُهُمُ
أنَّ نورًا يجيءُ من الأرضِ . !!

أقولُ لكَ الحقَّ ،
جازفتُ ،
غنيتُ كيْ ألفتَ السامعينَ لصوتي ...
وقلتُ كلامًا كثيرًا .. كثيرا ..
جلستُ إلى الناسِ ،
أفتيتُ أنَّ الحياةَ لمنْ يتقنونَ استلالَ السوادِ من العينِ ،
منْ يستطيع امتصاص الدماءِ من القلبِ ،
منْ يجعل الناسَ سُلَّمَهُ للعُلا .
أذكرُهم أنَّ من عاش ذئبًا
أطاعَ لهُ كلُّ كبشٍ عظيم .

أفقتُ ،
وكان النهارُ يميلُ مع الشمسِ ،
يستأذنُ الناسَ ،
يلقي على الشجرِ المستكينِ الدراهمْ ..
تلفَّتُّ في جنَّتي ،
أين حوري ؟!!
وأين الشرابُ ... وأين النعيم ؟
تبيَّنْتُ أنِّي أنامُ مع القططِ الضائعاتِ
بمبولةِ الشارعِ الملتحي بالضبابِ وبالواجهاتِ المضاءة ...!!
علمتُ بأنِّي انحدرتُ مع القومِ في غفلةٍ في سراديبِ وهمي ...
إلى حيث كنتُ ...

أفقتُ ، وجئتُ ، سألتُ ،
علمتُ بأنَّكَ لا تغلقُ البابَ في وجهِ منْ تابَ ...
يا ربِ ..
تبتُ إليك .. وأنتَ الرحيمْ .

## تشكـــيل ..

### (١) الغريب :

يا ويلَ ذلكَ الغريب ... !!
رأيتُهُ ممددا على الطوار ..
والكلُّ متعبٌ ، يحارُ كيفَ يبدأُ النـهارُ ...
كيف ينتهي النـهار .

وكلُّ من يمدُّ ناظريهِ للغريبِ ،
يُصابُ بالدوار ...

تزاحمَ المشاةُ حولَهُ ،
يقولُ بعضُهم بأنَّهُ غريق ،
ألقتْ بهِ الأمواجُ فوقَ مفرقِ الطريق ..

وبعضُهم يقول
بأنَّهُ رآهُ ذاتَ مرةٍ على حصانهِ يصول ،
وبعضُهم يقول
بأنَّهُ رآه مرةً يبيعُ نعْلَهُ وثوْبَهُ الأنيق ...
: [ لعلهُ سكران .. فاتركوهُ علَّهُ يفيق ..!]
حدقتُ في الغريب ..
عرفتُهُ ..
صوبتُ لكمتي لوجههِ المليء بالثقوب ..
وكدتُ أنْ أفيق ...

**( ٢ ) خيوطُ عنكبوت :**

بالأمسِ قادتني أعمي على الطريق ..
وشدَّني إليه صوتُهُ المنمَّقُ الرقيق
ومالَ بي تنفسي الرتيبُ للسكوت ..
نسجتُ من وساوسي مظلةَ القنوط ..
جلستُ تحتها
أحيكُ من أطيافِها الشروق ..

نظرتُ ذات مرةٍ إلى أصابعي ..
وجدتُ في يدي ..
خيوط عنكبوت ...!!

**( ٣ ) الموت :**

وقالت النجومُ والوجوم :
يا أيها المشتت السقيم
لا شيء في وجودِنا مقيم ..
فالكلُّ في طريقِهِ القصيرِ سائرٌ
يحثُّهُ مصيرُهُ القديم ..
لا شيء للفناء والزوال . ..
لكننا نموتُ حينما ..
تحين ساعة المخاض ...!!

## الحبُّ والزحام

أحبكم ،
أسيرُ بينكم ، أتوهُ في ضجيجِكم ،
وأعشقُ الزحام رغم أنني
أحسُّ عندما يضمني الطريق ؛
بأنني أغوصُ في عيونكم ..
إلى عوالمٍ غريبةِ الأسماءِ والسمات ،
مجهولةِ الوجود ...!!

أصرخُ :
في عيونكم رفعتُ رايتي ..
وفي يديَّ ساعدي ..
يا أهلَ هذهِ البلاد
لتنقذوا الغريق ..
لتنقذوا الغريق ...

يضجُّ من سذاجتي الصدى ..
والناسُ لا تفيق ...
فالكلُّ مسرعٌ يحثُّهُ الرفيق
والكلُّ ينْتَوِي برغمِ كلِّ شيء
أنْ يدركَ القطار ...

الكلُّ عابرونَ في سكون ..
إنْ ترشق السهامَ في عيونِهم
لنْ ترعش الجفون ..!!
فالكلُّ ــ قال ذلك المحطمُ الغريبْ ــ
خائفون ...!!

أحبكم
أتوهُ في ضجيجكم ،
وكلُّنا على أحبةٍ ينوح ،
والخوفُ لا يطلٌّ من عيونِنا ،
لكنَّهُ يفوح ...!!

وحينما يجتاحني الحنينُ ،
وتعثرُ الشفاهُ في حروفكم
[ يا ليل .. يا صباح ]
أصواتكم تمزّق الحروفَ
تقطعُ الأوتار ..
في وجهكم أصيح :
[ رويدكم ..
تكسّرون معزفي ...]
و أحرفي ضعيفةُ الرنين ...
تموتُ في حناجرِ الخُفوت ،
ورجعُها يموت .

وقال لي رفيقيَ القديم :

الصوتُ لا يموت

لكنَّهُ يضلُّ حينما

تغلِّقُ النساءُ في مساءنا ...

نوافذَ البيوت ...!!

وقال لي رفيقيَ الفصيح :

الكلُّ .. من بهذه البلاد ..

في وجهِ من يراهُ قادمًا .. يصيح ...!!

أواهُ يا شجيْرةَ الأمان

أواه يا شجيرةً يغتالُها الزحام

تسلقت على غصونها العناكبُ الضّخام

وخيَّمَ الترابُ فوقَ رأسِها

وعشَّشَ الخمولُ في لحائها ،

ومات ظلُّها على لظى الإسفلتِ والركام ...!!

يقول ذلك المحطم الغريب :

[ وكان ياما كان]

شجيرةٌ تنامُ في الضياء ..

وتستحمُّ في الشتاءِ وحدها بأنهرِ الندى ..

وحينما يشقشقُ الصباحُ في عيونها

يهتز غصنُها الرقيق ...

كأنَّها فراشةٌ من نومِها تفيق

وفجأة ..

ـ وجاهدَ السكوت ـ

وجدتُها على الطريقِ هكذا ...

ويصمتُ المحدِّثُ الغريب

نهرتُهُ : وبعدُ ..

لم يُجبْ ..

نظرتُ في عيونِهِ

وجدْتُهُ يموت ....!!

**[ علوان ] .. ابنُك عاد ***

يقولونَ أنَّ الطريقَ الطويلَ الطويل ..
هنا منتهاه ...
يقولون أنك ما عُدْتَ تهمسُ في أذنِ الدهرِ
بالأمنياتِ ــ الحياه ...
يقولون أنك لابدَّ ماضٍ
وحقِّ الذي في سماه
هنا أولُ الدربِ عندي وعندك
ما زال [ فوزي ] أمامي أراه .. [١]
هنا بينكم باختلاجِ الصدورِ
وأبصرُهُ بانفراجِ الشفاه ...!!

فيا كعبةَ العشقَ قَرِّي عيونًا ..
فكلُّ المواسمِ في راحتيكِ
كما كل عامٍ يجيءُ إليكِ ..
يحُجُّ الحقولَ ،
ويخلعُ نعليْهِ عند القُدومِ
ويلقي السلاما ،
سلامٌ عليكِ ...!!

ففي وحشةِ البعدِ كنتَ الصديقَ
وفي ظلمةِ الليلِ كنتَ القمر

وكان عبيرُكِ بين الثيابِ
ووجهُك كان جوازَ السفر
وفي لحظة الصمت
كانت حقولُكِ ، قمحُكِ ، طينُكِ ،
مدًّا عتيًّا ،
يموجٌ بعينيهِ لا يستقر ...!!

كما كل عام أتاكِ فتاكِ ..
فضميه ، ألقي عليه الدثارا
ففي دفء عينيك غنَّى وغنى ...
وما كان بعدك عنه اختيارا
ولا تشغلي البال أي القطاراتِ يركبْ ،
مل المسافرْ عنك الدوارا ...
وعاد إليك ،
فضمِّيه ..
ألقي عليهِ النهارا ...
و غنِّيهِ [ علوان ] ما كان يهواهُ من أغنياتِ الحصاد [٢]
فابنك عاد .. ابنك عاد ...

(١) الشاعر فوزي العنتيل .
(٢) علوان : قرية بأسيوط هي مسقط رأس الشاعر

## السراب

أقبلي كالطيفِ ، كالموجِ المسافرِ ،
كالسرابِ ...
وانثري في الكونِ أنفاسًا
من العطرِ المذابِ ...
وامزجي الألحانَ بالخمرةِ
في كأسِ الرضابِ ..
واسكُبي الأنغامَ في سمعي ،
أُرَدُّ إلى الشبابِ .. !!

أنت لي صفوُ الزمانِ
وأنتِ حلِّي واغترابي
من كتابِ السحرِ في عينيْكِ ،
داويْــتُ اكتئـــابـــي
للشبابِ القلبُ عـــادَ
فقلتُ : أنعم بالشبابِ
قال لي قلبيَ : مهلاً ...
قد خُدِعْنــا بالسرابِ
أين مني دائمُ البسمةِ
ورديُّ الخـــضـــــاب
يُسْكِرُ النسمة عطرًا
في الغدوِّ وفي الإيابِ

واعذروني يا رفاقي

قد علمتم بعضَ ما بي

جدَّ بي شوقٌ ..

فجـــانبني صوابـــي

قد توَهَّمْتُ الأحبةَ

رغم بيْني واغـــترابي

آه .. كم تفعلُ بالعشّاقِ يا طـول الغيابِ ...!!!

## القلق

لا أملكُ إلا أنْ أقــلق    أنْ أخــفي الشيبَ وأتأنقْ
وأكذِّبُ صوتًا يصدقني    ويلحُّ بسمعي ، يترقرقْ
أتشبثُ بالوهمِ الدافي    حتى في خوفي لا أغرقْ
والوهمُ ربيعٌ مزدهرٌ    وخريفُ حياتيَ يتشوقْ

ألقاك شــبابًا ورواء    ونضـــــارةَ وجه ، وتألقْ
وأراك فلا أقوى حتى    أنْ أهتفَ باسمكَ أو أنطقْ
وغرامُك هذا يُقلقني    أتمنى لو اني لم أخـــلقْ
ما كان غرامُك بي عشقًا لكنَّ فؤادَك قد أشــــفقْ

فكيف بربك لا أقلقْ؟    لا أملك إلا أن أقـــلقْ!!

## يقربني الملامُ لها ...

لغيرِ عيونِهـــا لا .. لنْ أغنّي
ولنْ يصفــو على الأوتارِ لحني
ولنْ تجري الحروفُ على لساني
فلم تسـمعْ سـوى نجواهُ أذْني
فكيف أكفُّ شـعريَ عن حبيبٍ
مقيمٍ بالفـؤادِ ، ومـلءِ عيْني
فمن شـفتيهِ أرتشفُ القوافي
وفي وجناتِهِ خـمري ودنّي
وينبـــوعُ الرؤى في مقلتيْهِ
أهيمُ على شطوطهما بسُفْني
يلومُ اللائمـــون ولا أبـــالي
فلومُ اللائمـــين من التـجنّي
عشقتُ وما الغرامُ من ابتداعي
ولنْ يُجـــدي مع القلبِ التأنّي
ولســـتُ بنادمٍ أنْ صارَ قلبي
رهينَ الهُـــدْبِ مفتونًا بجفنِ
يقول الشـامتون كفـاهُ شعرا
أما زالـتْ بـلابلُهُ تغـنّي ؟!!
وقد مكـرتْ بـهِ الأيامُ حتّى
غـــدتْ لُقيا أحبتِهِ الـتمنّي
أما يـــدري بأنّ البعدَ يُنْسي
وطولَ العهدِ بالأشواقِ يُضنّي؟

فقلتُ للائمي ، هــــذا وفـــاءٌ
لعهــدٍ لمْ أخُنْــــهُ ولم يخنّي

وإنَّ ملامكم لي في عنــــائي
كمنْ لامـــوا على البانِ التثنّي

فطـــولُ البعـدِ قد يُنسي ولكنْ
يصـــحُّ كلامُكم لو غابَ عنّي

فإنّا إنْ بدا لكُمُ التنـــــائي
لفي لُقيـــا تكذِّبُ كلَّ ظـــنٍّ

فثوبُ الليــــلِ نلبسهُ سويًا
ليخفي ظلَّنـــا عن كلِّ عــينِ

وتفهمُنـــا نجومُ الليلِ حتى
غـــدتْ نظراتُنا للنجمِ تُغْني

فتعــــرفُ إذ أحدثُها بحالي
وتفهمُ رغم صمتِ الناي لحني

فلوموا ما حـــلا لومي فإني
يقــرِّبُني الملامُ لها ويُدْني

## لا تذهب الآن . . .

مضى بيننا الليلُ ما جفتْ مدامعُنا
وما استراحتْ على وجَنَاتِها الهُدُبُ
ولا رفيقٌ لنا ، نشكو فيسمعنا ،
النجــمُ عنا غفا ، واللــيلُ ينتحبُ
وفرَّ منَّا يسيرُ القولِ ، ودَّعَنا ،
واستحكمَ الوجدُ فالأنفاسُ تلتهبُ
والكون في غفلةٍ والصمتُ يوجعنا
وما مضى بيننا يبدو .. ويحتجبُ

أواهُ يا أحرفَ التذْكارِ .. معذرةً
فكلُّ شيء مضى ، والبينُ يقتربُ
فكل ما كان حلمًا كان يسعدنا
قد يلبث الحلمُ حينًا ، ثم ينقلبُ

لا تذهب الآن ،قالتْ ، هلْ تفارقُني ؟
ألحظةٌ بعدها تمضي وتغــتربُ؟
وفوق صدري ارتمى ليلٌ ضفائرُها
يقول للفجرِ لا تــأتِ .. فيقــتربُ
وانهلَّ نـهرُ الندى روَّى مراشفَنا ،
لم ندرِ من أيِّ عينٍ كان ينسكــبُ
وأسبلتْ جفْنَها حتى أفارقها
ولا ترى ماءَ عيني حين يضطربُ

## البحرُ .. والشوقُ .. والكبرياء

بكى الموجُ لمَّا شكوتُ الهوى
وماجَ بنا البحرُ عند الغناءْ
كأني بهِ عاشقٌ مثلـــــــنا
يغالبُ أشواقَهُ في عنـــاءْ
فدومًا نراهُ يغُزُّ المســـيرَ
بدربٍ طويلٍ بغير انتـــهاءْ
يسائلُ ضوءَ الفنارِ الكليلَ
عن الاختيارِ ومعنى القضاءْ
سؤالٌ مدى الدهرِ ملغوزةٌ
إجاباتُهُ مثل قلــبِ السـماءْ

فما أنْ هتفتُ .. أمحبوبتي
وحتى تبدى عليه الشـــقاءْ
وأشرعَ أمواجَهُ نحـــونَا
ليبطش بالســفنِ والأبريــاءْ
فقال الرفــــاقُ : ترفَّقْ بهِ
فأهلُ الغرامِ جميعًا ســـواءْ
ولا تنكأ الجرحَ بالأغنيـــاتِ
كفى ما بهِ ، فالغــرامُ ابتــلاءْ

فلما كتمتُ حديثَ الجـــوى
تبختر في حُـــــــــــلَّةِ الكبرياءْ
وكفكفَ دمعًا أبيا جـــــرى
وكان يغــــــــــــالبُهُ في إباءْ

حبيبي تطاول ليلُ الفراقِ
وعزَّ الرسولُ ، وعزَّ اللقاءْ
وجرحُ التشوُّقِ قد نالَ منِّي
أليس لجرحِ المشوقِ دواءْ؟
وكيف احتملتِ ، ونحنُ الرجال
شكوْنا ، فهل تستطيعُ النساءْ

أخاف على مقلتيك الدموعَ
فعيناكِ لم تُخلـــــــقا للبكاءْ
فعيناك مرفأُ قلـــبٍ شريدٍ
بعينيك يبصرُ شطَّ الرجـــاءْ
وعيناكِ قيْلولتي في الهجيرِ
وعيناكِ دفءٌ بليلِ الشـــتاءْ
وعيناك في كلِّ بحرٍ فنارٌ
إذا ما استبدَّ الظلامُ ، أضاءْ

# المواعيدُ

مواعيدُ عرقوبُ ؟! أم منك المواعيدُ
يلذُّ من خُلْفِها للقلبِ تسهيدُ

يا واعدًا بلقاءٍ دونهُ أجلي
أفديكَ مِنْ واعدٍ يفديهِ موعودُ

قالوا قريبًا ستأتي والذي وعدوا
لهُ بقلبِ فتاك الصبُّ تغريدُ

فبتُّ أحلمُ باللقيا وأرقبُها
كأنما القلبُ طفلٌ شاقَهُ العيدُ

أبحرتُ والشمسُ في عينيك مرفأنا
شطٌّ تضمخهُ عطرًا أناشيدُ

ورحتُ أسبحُ في عينيك مبتهجًا
أعلو السماءَ كما تعلو المناطيدُ

عيناك سطرٌ من الأحلامِ أقرأهُ
إنْ يذهب الحلمُ في عينيَّ مرصودُ

وقفت حيث وقفنا حين فرقتنا
ترنُّ في مسْمعى منكِ الأغاريدُ

أخطو على العشبِ في رفقٍ أصافحهُ
وأهمسُ البوحَ ترهبني التقاليدُ

نخاف أنْ توقظَ النسماتِ خطوتُنا
أو أنْ يخبِّرَ عنَّا الأهلَ ترديدُ

أحسستُ أني سأهوي فاستندتُ إلى
عودٍ قريب ، تخلَّى عنيَ العودُ

ويحي ، وأين عيون السحر ، دونهما
تعلو الجبال ، وتمتد الأخاديدُ

رأيتُ عصفورةَ الأغصانِ صامتةً
كالظلِّ والعطرِ تبكيها العناقيدُ

والطلُّ عينٌ ، وعينُ الماءِ ترمقني
كأنَّ بي جِـنَّةٌ بالشطِّ موجـــــودُ

وقال لي شجرُ الصفصافِ معذرةً
إن جفَّ ظلِّيَ والأوراقُ والعـــودُ

مُذْ غبتُما لم تروِّ القلبَ أغنيةٌ
منْ عاشقٍ ، لم يهزِّ الغصنَ تنهيـدُ

فكيف تورقُ أشجارُ الهوى ؟ أسفًا
يمتصُّها الصمتُ تمحوها التجــاعيدُ

لا بارك الله في التشواقِ أرَّقَـنا
للشوقِ في جانبيَّ صحائفٌ ســودُ

رجعتُ يثقلني قلبي وحسرتُهُ
أبكي الفراقَ فتهتزُّ الجـــلاميدُ

أقولُ هل كذبوا ؟ أم أنَّ واعدَنا
أنستْهُ ذكرَ المواعيدِ المواعـــيدُ؟!!

# هواكَ قدرْ . . .

أحبُّك رغم اختلافِ الدروبِ ورغم السنين ورغم العمُرْ
وحيرني في هواكَ الفؤادُ وأركبني في هــواك الخطرْ
ولم يشفِ منك اعتناقُ الهروبِ ولم يغْنني عن هواك الحذرْ

إذا ما لمحتك أخفي اضطرابي إذا ما نظرتَ ، أغضُّ البصرْ
وإنْ جاءَ ذكرْكَ بين الصحابِ أغيِّرُ مجرى الحديثِ الخَطِرْ
وأوهم نفسي أني سلوتُ وأني حضـــورَكَ لا أنتظرْ
وأنَّ غرامَـــكَ منذ سنينَ تبخَّــرَ من خافقي واندثرْ

وكنتُ إذا ما استبدَّ الحنينُ وأنهكني في الهروبِ السفرْ
شرعتُ أعانقُ دربًا جديدًا إلى البعدِ عنْكَ. وأين المفرْ ؟
ولكن إذا ما احتوانا الدُّجى وعانقتُ ذكرى اللقاءِ العَطِرْ

بكيتُ ، لأنَّ احتمالَ الْهوى يفوقُ حدودَ احتمالِ البشرْ
ولو حُكِّمَ العقلُ ما ذابَ قلبي بحــبِّكَ ، لكنْ هــواكَ قدرْ

## زهرة...

إلى روح الشاعر كيلاني حسن سند

من نفس العودِ الأخضرِ تخرجُ شوكة ،
تخرجُ زهرة ،
وبرغم العطر ورغم الشمسِ
ورغم جهودِ البستاني ،
ستظل الشوكةُ شوكة
وتظل الزهرةُ زهرة ...

من عود مدينتنا المعطاءِ أتيْت
فصلا من حبٍ وحياة ،
زمنًا من خصبٍ،
كنت الزهرة تسكرنا
شعرًا وغناءً ..
كنا الشوكةَ في كفيك ..
نثقبْ قلبك ألمًا وشقاءً
ما أقسى أن يجرحَ خدُّ الزهرِ بشوكة ..
لكنك كالزهرةِ كنت
تعطي رغم الجرح العطرْ ..
حتى حين مضيت كما تمضي الأزهارْ
تسّاقطْ ، تعطي للأرضِ بقاياها ،
لكن العطرً يظل ،

ويظلُّ الشعرُ الأغنيةُ العمرا
وتظلُّ حروفُك مسبحةَ الشعراء الفقراء
ويظل حديثُك في ليلتنا القمرا

ها أنت تعود
للأرض المعطاء ، وللنيل المكدود
للبيت الطينِ وللقريةِ ،
ولقومٍ ثمود ،
ضعْ جنْبَك ،
نمْ يا خيرَ الأبناء ..
قد طالت غيبتُك أيا [ صالح ] عنَّا ..
لكنَّا ..
منْ كان على دربِ محبتِنا
مهما طال تغربُهُ .. سيعود ..!!

## إهداء

يا مائسَ الشَّعْرِ
ما أغناكَ عن شعري ؟
ما حاجة البحرِ ذي الأمواجِ للقطرِ ؟!!
عيناكَ بحرٌ بلا حد ملاطمُهُ
شواطئٌ غيِّبتْ في لجةِ السحرِ
عيناكَ مرجٌ
سهامُ الليلِ تحرسُهُ
ما حاجة المرجِ للألوانِ والزَّهرِ ؟!!

يا زهرةً في عيونِ الكونِ باسمةً
لي شوكُها ،
ولغيري ــ وحدهُ ــ عطري
يفديك قلبٌ إذا ما دقَّ أرَّقني ،
غنَّى لعينيكَ في صمتٍ وفي خَفَرِ
قد قلتُ فيكَ قصائدَ ما نطقتُ بها
غنيتُها في ضميرِ السرِّ للسرِّ
لا الجنُ تعلمُ ما أخفيتُ من شغَفٍ
عن العيونِ ،
وما أوحتْ إلى بَشَرِ
فأنتَ أجملُ من سحرِ البيانِ وما
أهديكَ ــ قلبي ــ
من شعرٍ ومن نثرِ ..

دوريش الأسيوطي

من أسفار القلب

## إهداء

إلى أحلى قصائد عمري

إلى مديحة

درويش الأسيوطي

## قصائد المدينة

### الفجر :

من الشرقِ أم من عيونِ المحاريبِ
تشرقُ شمسُ المدينة؟
..............................
وهذاالنداءُ النديُّ
الذي أيقظَ القلبَ
فجَّرَ نهرَالدموعِ الحبيسةِ
خلف الضلوعِ
أيأتي من الطرقِ الدائرية ؟
أم من دروبٍ
خطا فوقها أشرفُ المرسلين ؟!

### العطر :

أجبْ أيُّها العطرُ
أين زهورُكَ ؟
من أين يومئُ هذاالأريجُ
الذي لا يقاومْ ؟!!
لا زهر في الحرتَيْن ..
ولا بالبساتين وردٌ ،

فهل يا ترى
من ترابِ [ البقيعِ] همى ذلك العطرُ
أم من جراحِ [ أُحُد ] ؟ !!
..............................
تقول الحمائمُ
دمعُ المحبين أزهرَ شوقًا
فضاعت دروبُ المدينةِ
بالعطرِ والتمتماتِ
وأشرقَ في مقلةِ القربِ فجرًا
وماجَ بكل الدروبِ القديمةِ
صبحاً وظهراً وعصراً ...
هو الدمعُ ..
والقارئ المستهام يرتلُ ذكرا :
[ فإنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا
إنَّ معَ العُسْرِ يُسْرًا ]

الحوانيت :

وحين يُؤذنُ للفجرِ ..
تبْيضُّ كلُّ الدروبِ القديمة
كلُّ الدروبِ المدورةِ المستحمةِ بالضوء
والنسماتِ الخفاف
....................................
وينهمرُ الفيضُ
فجرًا من الناسِ

نورًا يجيءُ من الطرقِ الجانبيةِ يسعى
إلى ساحةِ العشْقِ ..
يعْتَنِقُ المسجدَ النبويَّ
فيرسلُهُ للدروب القديمةِ
حيث الحوانيتُ
تفتحُ أبوابَها للصباحِ
وتَبْتاعُ دمعَ الحجيجِ
ببعض البخورِ ،
وبعض المصاحفِ ،
والأشرطة ..

## الروضة :

يضيقُ المكانُ بشوقِ المحبين
يذْهِمُني موكبُ العشقِ والعاشقين ،
ارْتجافي ..
فأسجدُ فوق بساطِ الدموعِ
ويخْضَرُّ في باحةِ القلب
عشقاً ندائي :
[ حبيبي ..
أنا الآن في حضرةِ النورِ أسْعى
ويعبرُ قلبي إلى سُدةِ الوصلِ
يا سيدي وإمامي ..
أمامي ..
أنا الآن أُحني على أطهرِ العتباتِ اجترائي

وأمسحُ حيث مشيتَ جبيني ..
وأبكي ذنوباً وحوباً ورائي
وأمضي إلى مشرقِ الوحي بالبيناتِ
إلى سجدة النورِ عند الصلاةِ
هو الفجرُ يُلبسُني ثوبَ خوفي ..
ويستَلُّ من أضلعي .. كبريائي ...

مكة المكرمة ــ أغسطس ١٩٨٦

## بطاقةُ اعتذارٍ إلى بيْروت

[١]

تسافرُ في دمي [ بيروتُ ]
مجمرةً تذيبُ القلبَ
أحزاناً خرافية ..

...............................

يشيخُ القلبُ يا بيروتُ
ماءُ البحرِ في رئتي
وملحُ البحرِ في شفتي
وأغنيتي الرمادية
عن البحارِ والقرصانِ
تسقطُ من فمي سَقَطًا
مع الأشلاءِ مرمية

### استرجاع :

تمرُّ كما الرؤى بيروتُ
مئذنةً ،
وسوسنةً ،
وأغنيةً شآمية
وبحرًا من بحار الشّعر
منسكباً من الفردوسِ
في قيثارِ جنيَّة ..!!

وطيراً من طيور البحر صُعلوكاً
ينَقِّرُ فُستُقَ الأضواءِ
في المدن الفينيقيَّة ..

[٢]

وخزياً من خطايا الصمتِ
أبحرُ في شرايين المدى هرباً
إلى المدنِ التراثيَّة
فيلْقيني عُبابُ الهمِّ والأحزانِ
مقتولا على أبواب [ مَلَطِيَّة][1]
فتسألُني دروبُ الأمسِ :
ـــ ما حال الشآم اليوم ؟
ـــ لا أدري ..
فنصلُ الخنجرِ المغروسُ في صدري
يؤرقني ..
وما عادت طيورُ البحر تأتيني بفستقها
ولا الألحانُ تطربني ..
فأعشقُها ..
وما عادت حقولُ السوسنِ السكرى
تقابلُني فأنطقها ..
تَقَاذفني فتونُ البوحِ ،
موجُ الخوفِ ،
مدُّ الغضبةِ الآتي

---

(1) ملطية : إحدى ثغور لمجاهدين المسلمين وقفت في وجه الروم عهد الدولة العباسية

فيهربُ من يدي المجدافُ
تهجرني ملامحُ حلمنا العربيِّ
تدْهمُني ملامح حتفُنا الآتي ..

[٣]

وهأنذا .. أقامرُ بالوصولِ إليكِ
عبر برازخ الإبهام
فوق حطام أبياتي
ومنفيا عن اللغةِ المضيئة ،
مبحرا في ظلمةِ التهويم والإلغاز ،
منكفئاً على ذاتي ،
أجاهدُ نظم أغنيةٍ
عن الأزهار ،
والأقمار ،
والأطيار ..
أخنق نبض آياتي ..
....................
عيونُ الخزْي ترمقني ..
فمعذرةً ..
فدون اللحن والشفتينِ
وديانٌ من [القَاتِ]

أسيوط ـ ١٩٨٦

## إلى عصفور

يا طيرا فارقهُ العُشُّ
وأدمنهُ الترحال ...
غنَّى أرصفةَ العالمِ
خبرْني ..
من أغراكَ ببسط جناحيك بدربِ التّيه؟
من أخرجَكَ من العُشِّ إلى بردِ الوحدة ؟
هل [ ندهَتْكَ] أزقةُ هذا العالم ؟
أم أنت استَعْذبْت ركوبَ الموجِ ؟!!
من راودكَ عن الشدْو
فأقصاكَ عن البوْح .. وأبكاك ؟

علمني يا شيخيَ شيئًا من أحوال العشّاق ..
غير حلول الوجد محلَّ القلبِ ،
فالقلبُ العاشقُ حين يفارق من يهوى ..
يذْوِي ..
تسْقطُ عنهُ زهورُ البهجةِ
يسقط نسياً منسيًّا ..

..............................

كلُّ مطارات العالم
تغرسُ خاتَمها في قلبك ..
وتدقُّ أصابعها في جرحك ..
وتفتِّشُ غرفَ القلب
عن الصور المخفيَّة بين ضلوعك
عن خارطةِ الأوطان ..!!

..............................

كنت أسائلُ نفسي :
كيف تروّيك مياهُ الدنيا
ومياهُ النيل العطْشى تستَحْديكَ .. وتستسْقيك ؟!!
وتصلي الشطْآنُ صلاة القطْرِ ..
فيمنحُها ربُّك عاصفةً رملية ..!!
...........................................
حين اختلط الماءُ/ النفطُ
بماءِ القلب الظّامئ
أسرجْتَ جوادَك ــ مختارا أو مضطرًّا ــ
في كل الأحوال رحلت ..
وأنا أعلمُ يا شيخي
كم تضنيك الغيبةُ ، كم يقتلُك الترحال..!!
لكن ...
حين نُخيَّرُ بين الصمت وبين الصمت ..
لا نملك أن نختار .. !!
فكلا الأمريْنِ أمرّ ..
أنت طرحت خيارك ..
طِرْتَ .. وغنيْت .. وغنيت ..
لكني أعلم يا شيخي
أنَّ الغربةَ لا تكتبُ إلا شعرَ الحزن ..
وشِعرُ الحزنِ يذيبُ القلبَ
ولكن .. لا تطربنا الأحزان ...

أسيوط ــ ١٩٨٧

## الذي كان ...

يومَ كان الذي كان ..
شقَّ الزمانُ الفؤاد الموشَّح بالعشقِ
بالأمنيات الحِسان ..
وأخرجَ من صدرنا كنزنا
فضَّ شمعَ البكارة ،
ضاعَ ريحانُنا ..
عبقَ الذكرياتِ المُصان ..

يوم كان الذي كان ..
كلُّ الطيور ـ التي تعشق الرقص
فوق غصونِ المباهج ـ شاختْ ..
وولّى زمانُ اللحون/ الدِّنان .. !!
وما عادت النظراتُ النواعسُ
توجعُ من سحرها الأفئدة ..
كلُّ شيءٍ خبا واستكان ..
وماعاد شوقُ الطيور إلى الزقزقات
يطوِّحنا للمروج ..
وما عاد بوح البلابل
يلْفِتُنا عن حصار الجنان ..
مدينتُنا المبتغاة الدروب
تغافلُ عشّاقَها ..
مدينتُنا سلّمتْ للكهانة من كِفها الصولْجان ..!!

منذ كان الذي كان
ما عاد يسكرنا ذلك الوهجُ القُزَحيُّ
إذا ما عثرنا على قطعةٍ من زجاج قديم ..
ورحنا نكسِّر فيها امتداد الشعاعات ،
والأغنيات ، امتدادَ الزمان ..

تخلَّى الزمانُ عن اللغةِ /السيف
سادت حروفُ المقاربة المائعات ..
وخاصمها الانطلاقُ الجريءُ
وبوحُ المعان..

........................................

تحاصرني لحظةُ العجز ..
لغةُ الوقف ،
والانغراسُ المقيتُ الجبان ...

تنازعني البوحَ صفصافةٌ بالشطوط
يحدثُها النهرُ عن أمنيات الهطول
تحدثُهُ عن غناء الزنابقِ والكائنات ..
يحدثهُ الماءُ عن عقبات الوصول
أحدث عن ترهات الحلول .....
ولكنني مذ فقدت انتماء الحروف إلى اللغة الوصل
جفت جذوري ..
وأضحت خريفاً جميعُ الفصول ..!!

أسيو ط ــ ١٩٨٧

# من أسفارِ القلب

**ابتداء :**

المدى زهرةٌ ..
والسماواتُ حلمٌ ..
وبعضُ العصافيرِ ــ رُسُلُ التباريحِ ــ
تمرقُ عبر المتاهةِ
من مدن الصمت للمدن/ الموت ،
والقلبُ متكأُ الأسئلة...

من ترى يأخذُ القلبَ من وهدةِ الانتظار
ويعطي المدى عطرَهُ
والسماءَ القمر ..؟!!

من ترى يقرأ [ الانشقاق] ،
ويتلو على الكون من سورة[ الرعد ]
أو سورة [ الزلزلة ] ؟!!
إنها البسملة ..
إنها البسملة..

## سِفْرُ الشذى:

المدى زهرةٌ من دماءِ الشفق ..
والشذى منطفئ..
أيها العطر هيا انطلق
لم تزلْ في المدى فسحةٌ
لم تزلْ خطوةٌ للأفق ...

أيها العطرُ ..
ضاقت صدورُ الهواجسِ
مُذْ عذبتنا المواجدُ والأمنياتُ ، انْعتقْ ...
فالصدور التي عافها العطرُ
عافت فصولَ التعفُّنِ
والصدرُ ملَّ اللهاثَ، وعاف العرق

المدى زهرةٌ
والشذى يختنق ..
يخـــ ... تنق .

## سِفْرُ السماء :

أستوي للسماء ...

..............................

السماوات موبوءةٌ بالمنى ..

[ وردةٌ كالدّهان ..]

والأمانيُّ والوهمُ بابان

للانتظار الغبِّيِّ المدان ..

..............................

رفرف الكفُّ ،

دقّتْ يدي فوق بابِ السماء/ الدُّخَان ..

قيل : من ؟

قلتُ : صبٌّ أنا ..

قيل: هيا، تقدم .....

..............................

تقدمتُ ،

ها أنت والخوف وجهٌ لوجهٍ ..

وكفٌّ بكفٍّ ..

هنا الموتُ والصولجان ..

ومن أدمنَ الوجع الآدميَّ سيبقى ..

ومن أدمن الصبرَ

والانتظار الغبيَّ الجبان ..

## سِفْرُ التباريح :

خلَّفتْني التباريحُ للضعف والانحناء
مُضغةً بين أشداقِ هذا الزمن ..
أبتدي أحرفَ الأبجديةِ
ألثغُ في مفردات الوَهَن ..
أنت شبَّابةٌ مزقت بالغناءِ المُجنَّحِ
وجه الكفن ..
هاتهِ لحن أهزوجتي..
فالقصائد ملغوزةٌ ،
والطيورُ التي غالها الصمتُ
تمزُقُ عبْر المتاهة
من مدن الصمت للمدن / الموت
تسكبُ في أبحر الشعرِ
كأسَ الشَّجن ..!!

## سِفْرُ العشق :

أولُ العاشقين وسلطانُهم ..
ذلك القلب ..

.........................

ذلك القلب مُذْ عذبتهُ المواجد ،
مذْ أيقظتْهُ اللحونُ الهواتفُ
يتلو مع الصمت من سورة العشق
سِفْرَ التباريح والاشتهاء ..
إنَّهُ لم يزلْ
يرتوي من عيون التذكُّر
حين يرتلُ ترنيمة الانتشاء ..
لا تسلْ ..
كيف ينبُتُ في القلب شوقُ المحبين ؟!!
كيف يُقَطِّرُ في القلبِ
عطرُ المساء ..؟!!

## خاتمة :

المدى زهرةٌ
والسماواتُ حلمٌ
وقلبي متكأُ الأسئلة ...

أسيوط ــ ١٩٨٧

## حديثٌ جانبيٌّ إليه ...

[ إلى جمال عبد الناصر ]

**بكائية قديمة :**

وعُدْ أيها الولد المستحق البكاء
وعد يا أخي وابن أمي ..
ويا من بكتْهُ العصافيرُ والقبَّرات..
ويا من يولي إليه الجميعُ الوجوهَ انتظارًا ..
فأختك تجمعُ أشلاءك المستحمةَ بالدمعِ
من كلِّ صقْعٍ ،
لتُبْعَثَ من سُرَّةِ الأرض ..
إبنا لمن يعشقون الحياة ..!!

**حديث :**

وها أنت تأتي ..
كما جئتَ من قبلُ
من عتمة الليل بدرًا من الأمنيات ..
وسرباً من الشقشقات،
وفيضاً من التمتمات ،
وأغنيةً في ضمير اللقالق .
فكيف تسللت
ـــ رغم الحصار من الصحف المشتراة ـــ
إلى مهرجان السنابل فجرا.. ؟

وكيف انسكبْتَ بليْمونةِ الدارعطراً
وفي الخابيات الخواليَ أرزا وملحاً وبُرًّا ؟
وفي الكتب المدرسية نثراً وشعراً ؟
وكيف تسللتَ رغم مداد الخناجر في الصحف الساقطة ؟
أما أثخنوا الظهر بالطعنات التي
لم تكنْ في حسابكَ ؟
كيف تحملتَ غدرَ الأكفِّ التي
غرستْ نصلَها في عيون الحقائق ؟!!

ملاحظة :

أنت تعلم أنِّي .. وأني ..
وأنَّ الدموع التي ...
لم تخنّي ..
وأنَّك رغم ارتحالك
ما زلتَ عطرَ الحقول ،
حكايا المصاطب ،
أحلامها ، والتمنِّي ..
وأنك ما زلت ــ رغم احتجابك ــ
تحضر جلستنا العائلية ،
نحكيك بين حكايا المساء .
وما زلت ــ رغم انتحار المواويل ــ
حلم الربابات بالرقص أو بالتغنِّي ..

وحلم السنابل بالحَبِّ ..

حلم المظاليمِ بالعدل

ما زلت أنت ابتسامةَ دهر كثير التجنّي ..

فعُدْ أيها الولدُ المستحقُّ البكاءَ

وعُدْ أيها الولدُ المستحقُّ التمنّي ...

أسيوط ١٩٨٧

# الجرحُ وطن

الجرحُ خارطةٌ تجمّعنا وتدفعنا
لأحضان القرى رملاً وطينا ..
الجرح وردةُ حُلْمِنا الأبديِّ ..
تعطي للمنافي البور
من دمنا الموزَّع في فجاج الأرض
أطفالاً ،
وزيتوناً وتينا ..
الجرح وردتُنا ..
ولقمتُنا
وطلقتُنا
وأغنيةُ المقاتل ...

الآن يعترفن أنَّ الأرضَ ما زالت لنا وطناً
ــ برغم خرائط التهويد ــ
ما زالت مآذنُها تقاتل
الآن يكتشفون أن بلادنا
حُبْلى بفارسها المضمَّخِ بالبراءةِ والتفاؤل ..
الآن يصنعُ شعبُنا من جرحه علمًا ،
وخارطةً ، وحلاً للمشاكل ..
لا وقتَ للحلِّ المدبَّجِ في إدارات المعونةِ ،
والحوارات العقيمة ،
والجداول .

وطني على حد الجراح يسيرُ للتحريرِ
لا للصمت ..
لا للانحناءِ
ولا .. لجعجعةِ المحافل .

وطني يهاجرُ من خرائطهم
ليُرْسَمَ في صدور بناتنا ..
تحت المشدَّات الدفيئةِ والحوامل .
وطني يجاهرُ بالتحوْصل في حكايا الأمهات ،
وفي البريد ، وفي المشاتل ..
يجتح كل عروقنا ،
لا يرهب التوقيف والتفتيشَ ،
لا يخشى مصادرة المنازل ..

وطني تخطَّى كلَّ أنظمة الحدود ..
ومثلما تتسرَّبُ الأمطارُ في عطش القرى
يتسربُ الوطنُ/ المناجل ..
......................................
وطني تسرَّبَ في شقوق الروح
في وجع الجراح ،
وفي الأنامل ..
عطراً توزّعُهُ الأحاديثُ التي حملت جهارًا
بالأمانيِّ المباحة ، والتساؤل..
......................................

وطني تسرب من أكفٍّ عدوِّه ..
وانداحَ يصبغُ وجهَ سكان المخيم والقرى،
وحوائط الإسمنت
في المدن المولّدة المكهربة المداخل ..
وطني يغامر بالظهور مع الصباح على المقاهي ،
في الجرائد ،
خلف قضبان المخافر ،
بالمعامل .

يندس بين مواكب العمال
شاياً للصباح ،
وقبلةً عند الوداع ،
وألف أغنية توقعُها السنابل ...

أسيوط ــ ١٩٨٧

## علَّمتْني المواسم

يفاتحُني النيلُ عند الوضوءِ
بفاتحَة الصمت ..
أقرأُ في صفحةِ الماءِ
أنْشودةَ البوحِ في أعينِ الياسمين ..

يعلِّمُني النيل ـ حين السُّرَى ـ
أنَّ زيفَ القذى لا يدوم ..
وأنَّ القذى في العيون الخؤونةِ
كُحْلُ الطهارةِ في أعيُن الآثمين

أنا الآن أقرأ في صفحة الماءِ
ما خطهُ الأقدمون :
لك المجد يا أم أجدادنا الطيبين
لك المجد يا أم أبنائنا الصابرين
لك المجد ..
آمين .. آمين .. آمين ...

هكذا علَّمتني الجذورُ الخبيئةُ
أنَّ المناجل مخلوقةٌ للحصاد
وأنَّ المحاريثَ مخلوقةٌ للبذار
وأنَّ احتضان التراب الجذورَ
احتضان المواقيت ،
والنبت إرهاصةٌ بالثمار ..!!

وأنَّك يا أم أجدادنا الزارعين
ــ برغم امتداد السنين العجافِ ــ
فما زلت حُبْلى بسرِّ التخلق والاخضرار ..

وقد علمتني المواسم
أنَّ انتظار التسنبل ليس انتظار لوهم ،
فما دام في الأرض حَبٌ
وما دام قطرُ الحياة يروِّي الترابا
فإن السنابل لابد أنْ تحتوي
أمنياتَ الحصاد ..!!

أنا الآن أرقص رقصتها
حين يثقلها الحَبٌّ ..
حين تلوِّحُ للشمس بالقمح .
أحلم بالخبز في أعين البسطاء الجياع
وأحلم بالحرف بشرى بيوم جديد ...

وقد علمتني القناديلُ أنَّ انتظار الصباح
انتظارٌ لزغِرودةٍ بالدروبِ
وأنَّ الظلامَ المعبأ في حاويات المعونة
كالزيت ..ينضب في أمسيات الشتاء
ويبقى من الليل درسُ الترقب ،
درس السُّرى في دروب التوجس ،
يبقى على الفجر تكبيرةٌ ،، أو صلاة ..

فحين يجفُّ بحلق القناديلِ زيتُ التعقُّلِ
ينفجرُ الفجرُ ـ رغم الظلام ـ
ومنْ أعين الناس
تشرقُ شمسُ الحياة .

أسيوط ـ ١٩٨٧

## أغنيةٌ للصمت ...

حين فاجأني بالمخاص القصيدُ
انسكبتُ على وجع اللحن آهًا ..
أحررها من ضلوعي ،
وأطلقُها في فضاء الزمن
تحررُني من شقاء التكتُّم والانتظار...

النبوءاتُ تطلقني من إسار التشظِّي ..
يغمغم باسمك موج التراتيل
أبتاع باسمك لؤلؤةً
من دموع المحار ..
وأملأ من دمع عينيَ
نافذةً بالضلوع ..
فعند احتدام العطش ..
سيرتجُّ بالصدر ملحُ المواقيت ..
أطرح من مقلة العين صورَتنا في البلاد الغريبة
حين التصقنا
وصرنا على موعد بامْتزاجٍ
يحيلُ التفردَ كونا من الانصهار ...

يبادلني الصمت وقع الخطى
بالغناء القديم
ويغتالُ خطويَ رجعُ الصدى ...

والمدى فسحةٌ من بروق ..

وكرٍّ وفرٍّ ونورٍ ونار ..

أيها النوْرس المستخفُّ بحزن الشواطئ

كيف ترجِّعُ لحنك

والقلب غافٍ على شاطئ الحزن؟

إنَّ الكهوف القديمةَ مسكونةٌ بالغناء القديم

وبالانكسار ..

المواويلُ تولدُ في صدر [ أيوب ] جيلا فجيلا..

وما عاد قلبيَ مثل القلوب الوحيدة

يحمل من أمسيات الشتات البعيدةِ آهًا ..

يهدهدها في الضلوع فتغفو ،

فيا أيها النورس المستخفُّ بحزني ..

تخيرتَ من سُرَّةِ الموج مهداً لقلبي ..

فهلا تخيرت لحنا

يزيح عن القلب آهاً ..

يحررها من إسار الضلوع

ويطلقها في فضاء التردُّدِ والانشطار ..

....................................

فهلا تخيرت لحنا

يعيدُ إلى شفتي حرفَها العربيَّ الفصيحَ ،

يعيدُ إلى قلمي والسطورِ

النهارَ.

أسيوط ــ ١٩٨٨

## ثرثرةٌ مرهقة ..

١)

مرهقٌ .. فاستديري ،
أوسد رأسي ذراعيك ،
أزرع في مقلتيك حنيني
وأنفض عن هُدبكِ الخوفَ ،
عن صدريَ الشوقَ ،
عن شَعركِ البكرِ همَّ السنينِ ..

مرهقٌ تستبدُ المسافات بي ..
فانزعيني من الصمت ،
من غربتي ،
من إسار الدُّوَارِ انزعيني ..
واعصري دمعَ عينيك
في حلْقِ أيامنا القاحلاتِ ،
استديري ..
فكلُّ الشموسِ التي (....)
في عيونك آبتْ ..
فلا تحرميني شموس يقيني ..

(٢)

مثلما يحلم العاشقون بليلاتهم

في الليالي الوحيدة

جئتِني ..

وردةً في شتاء التغربِ ..!!

كيف ازدهرت برغم الجليد

وخبأتِ عطرك؟!

كيف وقفت على هُدب عينيَ

طيراً من الحلمِ

غنّى لكل مّعَـنّى قصيدة ؟!!

وكيف استطعت التماس المداخل للحلم ؟

كيف امتلكتِ العوالم

في لحظة الامتزاج الفريدة ؟!!

........................................

يقولون لي : واهم أنت ...

رغم الذي قلت ،

لم يعرف الطهر ثوبُك ..

طول السنين

يقولون إنك حين يجيء الغزاةُ

تريقين من ماء عينيك

عطر الثياب ،

ومن حلكة الليل كحل العيون .

وأنّك أعطيت من جاء .. ما شاء منك

ندى بالفراش

وعطرا بأثواب عشّاقك الفاتحين ..!!

يقولون ـ ياآخر الأمنيات على شفتي
حين تدهمني اللحظة الفاصلة ـ
إنَّك القاتلة ..!!
وإنَّ النصال التي في ضلوعيَ
تشهد أنك في لحظة الامتزاج
اخترقتِ الفؤادَ
إلى اللحظة المقبلة

..............................

استديري ..
أرى في سماوات عينيك معنى الوجود
أرى فيهما عقدةَ المقصلة ..

(٤)

ساهرٌ في فراغ المقاهي أثرثرُ
أستعذبُ الشقشقة ..
ساهرٌ ..
أشربُ الشِّعرَ من هدأة الليلِ ..
والشاي .. والتبغَ .. والمسألة ..
من أتى من رفاقيَ شاركني غُصَّتي ..
والطموحات ،
أشعاريَ المستفزةَ والمقلقة ..
نحن عشاق هذي الأزقة
وأسفلتها ،
والمصابيح ،
أنوارها المرهَقة ..

نحن مُلاّك هذي الأزقة ..
أصواتُنا أنجمُ الليلِ ..
ترفعها في وجوه الخنازيرِ
صكّ احتجاجٍ على المهزلة

أيها المترفون استفيقوا
ولا تستخفوا بأعوادنا الناحلة
نحن نملك حق التعطل ،
حق التسكع ،
والمشي ،
أن نكتب الشعر ،
نملك قول النكات البذيئةِ
........................
نملك أيضا شرايننَا ..
من شراييننا .. نصنع المشْنقةُ ..

أسيوط ـ ١٩٨٨

## حبةٌ من فرح ..

إلى روح الشاعر أحمد محمد إبراهيم

- مفتتح :

لم يعدْ في يدي    حبةٌ من فرَح
فالفؤاد الذي    للغناء انشــرح
شفَّهُ حــزنُهُ    ليتهُ ما انفتح ..!!

(١)

نقِّري في دمي
يا عصافيرنا الواجفة
فالمساءُ الذي حطَّ فوق جناحيك
لقَّطَ كلَّ النجوم من الليل ،
أطفأ كلَّ الثُّريَّاتِ في لحظة مجحفة

المساءُ الكئيبُ الذي حطَّ
يستولدُ الحزنَ من فرحنا
والعذاباتُ تنثر في أعين الناسِ والقبراتِ
رمادَ النهارِ ، وظلمته الزاحفة

(٢)

ما الذي يُثقلُ القلبَ ، يفقدُهُ صفوَهُ ،
دفقةَ العاطفة ؟
إنها ضمةُ الحزن للصدر
تجهضُ كلَّ الأجنّةِ بالقلب
والفرحة الزائفة ..

..................................

انتظر ..
أنت تأتي برغم انحسارالربيع
وتومئ بالعطر رغم الجليد
فنخفيك عن أعين الناس
في حبةِ القلب ،
قد علمتنا العواصفُ أنْ نكتم الأغنيات
لكيلا تمزقها الريح
والنوة العاصفة ...

(٣)

هاهي الأمنيات المليئة بالبشر ترحلُ
تسقط كلُّ الغصون البريئة ، تذبل ،
تسْوَدُّ أوتارنا من نزيف التوجع
والنبرة اللاهفة..

ها هي القبّراتُ الهواتفُ بالشعر
تسقط صرعى التردد

والأرضُ مسكونةٌ بالجليد
وكلُّ القصائد مغلولةٌ بالحناجر ،
ترسف في الصمت والحيرة المؤسفة
إنها العاصفة ..
قاتلُ القُبَّرات هو الصمت ..
والأحرفُ الخائفة ..

• استرجاع :
[ ودا مين قال إنْ الفَتى مَشَّى
ودا عُطْر مين اللي على الفَرْشَه
ودا مين قال .. إنْ الوَلَدْ سافرْ
ودا نور مين اللي على السَّامر ؟]

أسيوط ــ نوفمبر ١٩٨٨

## متتاليات :

### لؤلؤ الأهداب :

كفى يا حلوة العينين ..
لمّي لؤلؤ الأهداب ،
واكتحلي ببسمتك التي تعطي
زهورَ الروض والجنّات رونقها
وتعطي أنجم الأفلاك والأقمار في الدنيا
تألقها ...
وتعطي للحياة القفر معناها .. فأعشقها ..

كفى يا حلوة العينين
فيم الدمع ؟
ما زالت لنا الدنيا ومغربها ومشرقها
وما زالت بأيدينا طيور الحلم نخلقها
ونطلقُها ..
فتشدو بالهوى والشعر والأشواق
يفهم شدوها العشّاقُ
يستعصي على الثقلين منطقُها
كفى يا حلوة العينين ..
لمّي لؤلؤ الأهداب .. وابتسمي ..

**تسبيحة :**

سبِّحي للمطر ..
وانثري شعرَكِ الهمجيَّ على كتفي
يَنْبتُ الماءُ في ليل شعرك
حقلا من الياسمين ..
وكوناً من الأنجم المشتهاةِ ،
وسبع بحارٍ من العطر ..
يسْبَحُ في كلِّ بحرٍ قمر ..
سبحي للمطر ...

..............................

حين يدخلنا الماء
من برزخ الوقف
للمنتهى الوصل ،
نصبحُ نهرا من الاندهاش ..
ويصبحُ حبُّكِ – في لجةِ التيه –
ذات الدسر ..
سبحي للمطر ..

**النَّهر :**

حين يباركنا النهر بالماء والخصب
تشقَّقِ الأرضُ ،
ينْسلُ من أضلع الناس
خيطٌ من الاخضرار ..
يلون وجهَ الصباح بلون الحدائقِ
يكتب في جبهةِ الأمسيات/ النهار :
ألا إنني النهر
آتٍ ــ كما جئتُ ــ
من ظلمة الأمسيات الوحيدة
أمسح عن سُرَّةِ الأرض
وشم التصحُّر ، والانهيار.....

**الأرض :**

سارت الأرضُ للنهر
أفضت إلى حلمها بالتواصل
غنت على مدخل الغيب ،
بلل جفنَ التشوّق دمعُ الندى
إنها الأرضُ ..
تخرجُ للنهرتطلبهُ ،
تستحثُّ المواعيدَ ، تسبقها ،
حين تُقتَحمُ الأرضُ بالنهر ..
يشرقُ فجرُ الخصوبة ،
تورقُ أيامُنا بالفوارسِ ، والخيل ، والانتصار ..

أسيوط ــ ١٩٨٨

## تحذير:

لأنك تبحث عن حجرةٍ للصغار ..
وعن فرجةٍ في سماء البلاد
لضوء النهار ..
لأنك تحصب قُتّال أطفالنا بالحصى والدعاء
فإنك متهمٌ بالتعصب ..
كلُّ المخافر تبحث في أعين الناس عنك ،
اختبئ ..
خبِّئ الآن هذا الجواز
ففيه اعتراف بأنك من أهل تلك البلاد
التي بعثرت ذهبَ النّفط
ما بين أفخاذها .. والنساء ..
اختبئ ..
خبِّئ الوجهَ والقسمات المدانة
خلفَ الجدار ...!!

**انتبه :**

انتبهْ ..
إننا نختلف ..
الغناءُ ، البكاءُ ،
الرجالُ ، النساءُ ،
الثرى والسماءُ ،
الجديدُ ، التحف .
لوننا ، عطرنا ،
وقْعُنا مختلف ..
كلُّ شيءٍ هنا يَعْربيٌّ
ومعنى العروبةِ لا يُكْتَشَفَ ..
ضوء قرآننا بالحروف ائتلف ..
حينما نرتوي من دموع [ النَّجف ]
نقتدي ، ثم نعبرُ ــ كالأمس ــ ذاك المضيق
لنعطي لكم درسنا ،
نورَ قرآننا في الصحف ،
عندها ....
سوف تعلمُ كم نختلف ..!!

**طفل :**

طفلي يغفو مفتوح العينين
والبسمةُ في شفتيه ،
حلمٌ /طفلٌ
لا أعلم ما يُدْهشهُ
لا أعلم ماذا يبصر ؟!!

حين تجاوز طفلي حقلَ الألغام
العامَ الأول ..
صار ينام قليلا ،
يبتسم قليلا ،
يبكي أكثر ..
..................
أُدْركُ أنَّ الحلمَ ينامُ الآن ..
وطفلي .. يكبر ..!!

## سؤال:

حين تزوجْنا ..
كانت زوجي تسألُني
عن لون عيون الأطفال
ولون الشعرِ ،
كانت تهرب في ناحيةٍ من بيتي
لتجَرِّبَ طعم الأسماء ..!!
................................
حين ازدحم البيتُ بأسئلة الأبناء
جاءت تسألني :
هل تعشقني ؟!!
................................
كان سؤالا أحرجَ كلَّ الأسئلة الخرساء .

أسيوط ـــ ١٩٨٨

## احتراق

إلى الشاعر عبد الله السيد شرف

رائعٌ أنت في حزنك الشاعري ..
فأحزاتُنا مثل أفراحنا
شقشقاتٌ بأودية الصمت ..
هاتِ القصائدَ ندمنها خلسةً
في الزمان الملوّحِ باللذة المرجأة .
رائعٌ أنت في خوفك/ الطفل
من زلَّة الحرف
واللفظة المُنْبئة ،
أيها الشاعر المستبدُّ به الخوفُ والصمتُ
بُحْ بالذي يحجب القلبَ
عن رجفة ماتزال تعانقُهُ
حين يَلْقى العيونَ الكحيلة
بالرغبةِ الدافئة
...........................
خادعتْنا القصائدُ ،
واستمرأت دمنا ،
فهي تقْبسُ من شُعلة العمر
ما يبعثُ الدفءَ بالأحرف الهادئة
إنه الشعر ،
تعويذةُ البوح
ضد التلعثم والصمت ..
ضد البكاء على مفرق اللحظة الفائتة

صاحبي ...

أنتَ تشكو القصيد/ التنفسَ ..

كيف تكون الحياة بغير القصيدة ؟

هل نسأل الورد أنْ يكتم الآن بوح الأريج

وهذا أوان التبسم بالعطر

قد أيقظ اللحظة الميّتة ؟!

أم ترى نسألُ القُبّرات

الولوج إلى الصمت

لا رفةً بالجناح ،

ولا خفقةً بالفؤاد ،

ولا شقشقة ؟!!

العصافيرُ إنْ تكتم الشقشقات تمُتْ ،

كيف تطلبُ منها الولوج إلى الصمت

والفجر زلزلةٌ

والصغار تنقّرهم فرحة مشرقة ؟!!

نادم أنت ياصاحبي

ــ قلت لي ــ

إذا أتيت القصيدة والشعر قيد التخلّق

كالماء بين التجمّد والانسكاب

على فاتحات السطور

نادم أنت يا صاحبي

إذ أتيت القصيدة واللحن يشهق ،

ينحتُ مُخْرَجَهُ في الصدور/ القبور ..

نادمٌ .. حين تطلق خيلَ ارتجافك
فوق القباب العنيدة
فوق انزلاقك والنحر
في مفْرق المرمر المستحم بماء السماء
وعند انبلاج النهار عن النقطة البدء
والشهقة الانتهاء .

إنه الشعرُ
ماذا على الشعر
إنْ جاء في موكب النور والنار
أو جاء في معرض الابتلاء ؟
إنه الشعر
ماذا على الشعر
إنْ دقَّ أبواب أعصابنا
فاستجابت لحمحمة الشعر
أبوابنا الصابئة؟!!
ماذاعلى الشعر
إنْ ضاع منَّا التماع العيون
ونحن نفتش في الوجهة الخاطئة ؟!!

قُلْ صديقي ..
ولا يشغلنَّك هذا الهراء ..
احترقنا ،
وصرنا رمادا ....!!
فماذا يضيرُ الرمادُ من الجمر ياسيدي ؟!!
إننا جمرة مطفأة ..

في زمان الفراعين ..

نختار يا صاحبي

ـ نحن أطفال هذا الزمان النزِقْ ـ

بين جمرٍ وجمر ..!!

ونختارُها

جمرةً في الصدور

ونختارها

جمرةً باللسان

ونختارها

جمرةً بالورق ..

بعدها ..

كيف يا صاحبي

كيف لا نحترق ؟!!

أسيوط ـ ١٩٨٩

## فاطمة

تطلين من فرجةٍ في دمي
وجهُك البكْرُ يحملُ أسئلة الكون لي ،
والإجاباتُ في داخلي مبهمة

لماذا تلمين بي بعد هذي السنين ؟
لماذا يحل ببيتيَ طيفُكِ يا [ فاطمة ] ؟!!
وماذا تريدين ؟
هل جاء طيفك يعبث بالجمرة الكامنة ؟
فمنذ افترقنا ، قَدَرْتِ ..
وكان نصيبُك أنت الغياب
وكان لي الشوقُ .. والحرقةُ المؤلمة ..
فماذا تريدين ؟
إني رضيت بقسمتكِ الظالمة..

تطلين في وجهها .. ابنتي ..
وجهها الطفل وجهك ،
غمازة الخدِّ ،
لون الزغب ،
وموج المساء المعانق للوجنتيْن
كموج المساء على الوجنتيْن الشهب ..
وعمق العيون التي تزرع العطش الفوضوي
ولثغتها ،
وابتسام البراءة في وجهيَ المكتئب ..

تذكرني رقَّةُ الكفِّ
تلويحةَ الكفِّ عند الوداع
التماع الشموس المضيئة في مفرق الليل
ثم البكاء لأدنى سبب ..

وهاأنت
في لحظةالانفلات من الامتزاج
انطلقتِ ..
وكانت عيونُك تملؤني بالصَّخَب
وكانت شفاهُك — دون حديثٍ —
تعاتبُني ..!!
ليتني يومها لم أجب ..
تقولين لي : آن أنْ نفترق ...
فأضحك في لهوي الغضّ:
فنفترق .. !!
وأنثر فوق المقاعد أشياءنا والكتب ..
— تمهل ..
وصارت أمامي على البابِ
تدفعها رغبةٌ
واصطناع العفاف يسمّرها بالخُشُب ..
— خطى خالتي تقترب ..
— رتبي ما شغب ..
الكنوز الدفيئة ، والعطر ،
والعرق العنبريّ ، وهذي الشهب ..
.......................................

يراودني عطرُك الأنثويُّ..
ولا تستطيع الدموع المراقة من مقلتيك
احتجازي ،
ويأخذُني للهرب النزق ...
وحين انتبهت إلى ماتقولين
كنا افترقنا ..
وكان الفؤادُ بأشواقهِ .. يحترق.

تخالطني لحظةُ الفزعة المستكينةُ للارتجاف
تباغتني حين يبزغ وجهك
من فرجةٍ في دمي ..
وجهُك البكر يحمل لوماً
وشيئا غريبا تخبئُه الأعين الساهمة .

● قطع :
ــ ياأبي .. يا أبي ..
ــ ماذا تريدين يا حلوتي ؟ لعبةً؟!!
ــ لا .. حصانا ..
ــ خذيني حصانك يا .. [ فاطمة ] ...

أسيوط ــ ١٩٨٩

## اغتراب

أيها الراحلون عن الوطن /الجمرِ
للغربة الماثلة ..
ارحلوا واستريحوا ..
خذوا بالحقائب عطرَ الرياحين
رائحة الخبز ،
والطلح ،
زهر حدائقنا المهملة

ارحلوا واستريحوا ..
خذوا بالعيون اخضار الحقول
ولون التراب ،
ورقص الفراش،
وتلويحة السنبلة

ارحلوا .. واستريحوا ..
خذوا بالجوانح أنفاسنا ..
في الملابس دمع النساء
شذى ضمة الأم في لحظة الافتراق ،
خذوا بالأكفِّ ارتعاش الأنامل
في لحظة الزلزلة ...

أيها الراحلون

ارحلوا للبعيد

فقد تجدون هناك الوطن..

ربما في خطاب من الأهل

أو من رفاق الدراسة

أو من فتات تواعدُ ليلتها

بانتظار الذي لا يجيءُ

الذي لا يضيع

برغم انسراب الزمن ..

ربما تجدون الوطن .. !!

ربما يعبرُ الوطن/ الطيفُ

بحرّ الخواطر

بين غريب الشطوط ،

فيبدو على البعد أجمل ..

ربما يرجف القلب بالشوق رجفته لحظة ..

بعدها يطمئن ..

ربما يعثرالكفُّ من غير قصد

ببعضِ الرسوم

فيبتسم الوطنُ الورقيُّ ،

وتعبر في لحظات التذكر

خارطةُ الأمس ،

تلقي على القلب ضحكتها ،

أو يئن ..

فارحلوا واتركونا وهذا الشجن
إننا ـ رغم هذا البقاء مع الأهل
رغم الجذور العميقة في الأرض ـ
قد ضاع منا الوطن ..!!

أسيوط ـ ١٩٨٩

## شمس النهار

عامٌ على وجعِ انتفاضكَ بعد عام
ونخيلُنا العربيُّ
تثقله الطموحات الجريئة ، والنبوءةُ ،
والفتوحاتُ العظام ..
عامَ على الطير الأبابيل التي
حطَّت على الأسلاك
من وجعِ المخيّم والرّكام ..

يا طفلةً مكحولة العينينِ
بالغاز المسيل ،
والحرائق ،
واجتماعات التفاوض ،
والبيانات الحرام
لا تُحْجمي عن قذف وجه جنودهم
بركام بيتك والحطام

ياطفلتي
لا تنزعي حلم الطفولة من عيونك
حين تسقط بانفجار النسف حجرتنا ،
فإنَّ بلادنا شجر يُسَاقطُ في خريف النسف
بعض بيوته ..
ويعودُ يورقُ كل عام ..

ولتحذري يا طفلتي
تجّار قريتنا المباعة للأجانب بالمرايا ،
والبغايا ،
والنياشين القميئة ،
والطعام ...
لا تنفضي عن هدبك الأحلامَ
فالأحلم أغلى ماورّثهُ لأجيال الصدام
ولتحذري أن يشتروا الوطن الممدد في الصدور
ببعض أوهام السلام ..

ما دام وجهك في حرائقهم ،
بأخبارالظهيرة ،
بالمسيرات الخصيبة ،
في الميادين المزانة بالتحدي ،
في حطام النسف ،
في كسف الغبار
لن يرحل الوطنُ المجاهدُ في الحقائب
حين يشتدّ الحصار ..

لم يرحل الوطن المُرجّى
واكتفى برحيل بعض سنابل القمح المصانة للبذار ..
والآن تشرق من شقوق الأرض
سنبلة يساندها الجدار
الآن تشرق من شقوق الأرض أقمار التشرنق
فتقّي عنك الشرانق ــ يابلادي ــ
أطْلعي .. شمسَ النهار ..

أسيوط ــ ١٩٨٩

## فلتصبحوا بالخير والسعادة

بالأمس باتَ عندنا المساء
ونام واقفًا على النوافذ المُضَبَّبة
ومثل كل من ينام في الشتاء
دونما غطاء
أصابه الهواء بالسعال ،
فكحَّ محنقًا ،
وسبَّ باعة الطريق ،
فتبغُهُ الرديءُ قد أصابه البلل ،
وصدره العتيق لا يقاوم السعال ،
كح عاليا
فأجْفَلت خيولُ جندنا ،
ودحرجت فرسَانها
بعطرهم ،
وزهوهم ،
بالأنجم المذهّبة ..

ومرَّ ليلُنا .. بلا حرس ..
لم ينقّب اللصوص بيتنا
ولا تسوّروا جدارنا
ولم بفزّعوا ـ كالجند ـ
صورةً لجدتي على الجدار ..

تلك التي عاشت سنيَّ عمرها
ما فرقت بين اللصوص والعسس .
كانت تقول : كلهم دنس .. !!
لذا نقول حينما يدهمنا الظلام بالخيول
والأسنة المدببة ...
[ كانت عجوزا طيبة
كانت عجوزا طيبة ] .

بالأمس بات عندنا المساء ..
فكفَّ عن هديلهِ الحمام
وعسْعستْ قصائدُ الرباب في الدروبِ
بينما فوارس الملاحم المرتبة ،
يهزها التناوشُ العقيمُ من سباتها
ويدفع الحماسُ جندها
لحوْمة المسامرة .
وكلما مرت على الرباب قصةُ
تدافعت تقاتلُ الرباب كوكبة

وحينما يلمُّ في نهاية السمر ..
شُويعرُ الرباب شاله ،
قروشَهُ ،
وبحَّةَ الإعادة ..
تسَّاقطُ الفرسان من زمانها
على طريقها المعادة
تدوسها خيولهم ..

[ ديابُ ] قد أراحهم بقتله [ خليفة ]
ـ سهرة لطيفة
ـ سهرة لطيفة
فلتصبحوا بالخير والسعادة
وتُطفأَ الفتائلُ المعذّبة ...

........................................

وفي الصباح
حينما نسوقُ للحقول حَوْمةَ الغنم
نلمُّ في جيوبنا المثقّبة ..
فوارس المساء ..
ولم يزل طعانهم ،
صراخهم ،
غناؤهم ، ينامُ في عيوننا ...
مسترخيًا تحت الجفون المتعبة ..

أسيوط ـ ١٩٨٩

## يا سيدي النهر

ومستسلما للمقادير
ـ يا سيدي النهر ـ
تمشي الهوينا ..
كأنَّ القرى ألبستك التمهل ...
تمضي خجولا
وتدفع بالعشب والجثث الطافيات تجاه الشمال ..
كأنَّك لم تسقِ تكعيبة الكرْمِ
أو ذهب الحقل ،
أو جنّة البرتقال ..!!

كأنَّك ما انساح شريانُك/ الخصبُ
بين الحقول ، وتحت الظلال ..
كأنك لم تعشق الأغنيات الصبايا ..
ولم تحضن الفلْكَ والاحتفال ..
كأنك ـ يا سيدي ـ لست أنت الذي
من صخورالجنوب اجتبى هذه الأرض ..
من ذا الذي قد أتي للرمال المباحة بالموت
في عوده السمهري
ومسَّ الثرى بالحنوِّ
فكانت هنا الأرضُ
سمراء في لون جُبَّتك العربية ..
من جاء للأرض بالضَمَّة الغرينية ،

صارت بها الأرضُ خضراء
في لون دغلٍ يمرُّ بذاكرة الموج ..
حين تلملمهُ كفتاك
وتمسحُ عنه الكلال ..

ومستسلما للمقادير يا سيدي النهر
تضحك تحت نوافذهم
مائسا بين شطيك
كالمرأة الساقطة
كأنك ما كنت في موسم الفيض
تهدر بالطمي ، والموج ،
والزَّبَد المبْتغى ..
كأن البلاد التي خافت الفيض
قد أغرقتها الرمال ..!!
كأنك من خشية العسس المتربص
تكتم أنفاس موجك ..
تسري ، ووجهك مرآة ماءٍ
تقلب فيها العمائرُ شرُفاتها ،
والسماءُ تساقط فيها النجومَ الحزانى ،
وبدر السماء المسهد ، والأغصن الذابلة

كأنك لست الذي ضاجع الرمل
واستنبت المستحيل ،
وأنبت أهرامها والمسلات
والأمةَ الهائلة .

فكيف ارتضيت الركون إلى العجز
يا سيدي النهر ..
فِضْ من جديدٍ ..
ومزقْ شطوطك إن شئت
واصنع شطوطا، بيوتا
لكل البنات وكل وليد ..
فلستَ الذي ينحني للغزاة
ولست الذي عبَّدَتْهُ الجنود ...

أسيوط ـ ١٩٨٩

## قصائد قصيرة

### اعتذار :

قد كنتُ أحسب أن دعوَتك التي
لاحت على نـهر الشفاه
مواسم التّمْر الجديد
فأنت نخلتنا التي
يا طالما طقّتْ أطايبها
وما هزت بجذع رسوخها
ريحُ الشتاء ..
الآن أفهم
حين ماجت في عيونك
لمعةُ القمر الذي فقد المدار
حين ارتمى فوق الوسائد
شعرُك الليليُّ فانشطر النهار
حين ابتسمت فضاعت الدنيا ..
فأبصرتِ المدائن والقفار ....
كان ابتسامك للفتى في الشرفة الأخرى
وكانت لمعة العينين
تعني الانتصار ...
الآن أفهم
شَعريَ الفضيُّ يفضحني
ويلزمني الفرار

والقلب أنهكهُ الدوار

والرأس أنهكه الدوار

فلتقبلي مني القصيدة يا ابنتي ..

فلتقبليها كاعتذار ..

**دق :**

بالرأس شيئان دقا طويلا

هما : ساعةُ البيت ..

والقلبُ ...

هب أنَّ ساعة البيت كفتْ عن الدقِّ ..

ماذا عن القلب ؟!!

..................................

ما زال يقلقني ..

يجعل الغمض لو طرفة

مستحيلا

**أطفال [ سعد زغلول ] :**

من حيث تجيءُ العتمة جاءوا ..

شُعثا غُبْرا ..

عاشوا كل الأزمنة الموبوءة ..

شهدوا بالعين مصارعنا ..

فانطمستْ .

ما كبروا كالأطفال ..
ولكن .. أنضجهم حزنٌ مبهم ..
..............................
يزداد الخوف بأعينهم
فيزيد سوادُ اللوحة ..
والعتمةُ تصبح أعينهم ،
لعبتهم ،
وحوائط حارتهم
تبدو باللوحة بقعة ضوءٍ أسود ..
من أين يجيءُ الضوءُ الأسودُ ؟
من قلبي ؟!!
أم من أعينهم ؟!!

## رائحة :

للعشب رائحةُ الربيع
للطين رائحة الحياة ..
للماء رائحة الشتاء ..
للنخل زلزلةٌ بوجه الريح
تومئُ بالعطاء ...
والنهرُ دون الماء جرحٌ بين نهديك .
استجيبي للنداءِ
وعانقي بالفجر رائحةَ الربيع
ودفءَ أحلام الشتاء ..!!

للطلق موعده الذي

ـ إنْ جاء ـ زلزل في كيانك كلَّ شيءٍ

فاحملي طفل انتظارك من دمي ..

واستبدلي وجع التخلق .. بالغناء

أسيوط ـ ١٩٨٩

---

سعد زغلول فنان تشكيلي مصري معاصر

## ألوان

- أخضر :

كل شيءٍ كان أخضر ..
سعفُ النخل ،
صباحُ الخير ،
والبشرُ الطفولي المباغت
والقلوبُ البكر
والحلمُ المعطر ..
كلُّ شيءٍ كان أخضر ..
مثل أحلام العذارى
والمواويل البريئة ،
والعصافير التي جاءت
من الجنّة خضراءَ تُغني ..
والأمانيِّ الطريةِ مثل عشبٍ
فوق خد النهر بالشط تبعثر ..

كانت الأغصانُ أوتارًا
وماءُ النهر كوثر ..
والندى فوق الشبابيك الخجولة
دمع عين قد تحدر ..
كل شيءٍ كان أخضر
حين كان القلبُ أخضر ...

- أزرق :

يبدأ البحر باللون

أم يبدأ اللون بالبحر ؟

فاللون يقرأ ما قد تيسر من مدخل الشوق

للزرقة البائنة

...................................

بحر عينيك

أم ذلك الكون من لون عينيك ..

ما أبدع الزرقة الفاتنة !!

السماوات مطوية بعيونك

والأزرق الْمَاجَ بالكون

يفتح بالقلب دائرة الحلم

يطلق خيل التمني ..

ويعطي أعنتها للعذارى ..

فيملأن ليلات أحلامنا بالعطور

وبالنظرة الواهنة ...

- أسود :

ما الذي يفزع قلبي

حين يغشاه السواد ؟

أتراه الليل ؟

والليلُ مخيفٌ ..

فيه تدمي الريح أحلام الطفولة ..

وتحوط المخدعَ المعزول

أشباحُ العفاريت الطويلة ..

ويموتُ الصمت في الحُجْرات لمّا

تفرغُ الجدّاتُ من قصِّ الخرافات النبيلة

في فراشي ..
يرقدُ الليل الموشّى بالحكايا
والحكايا لا تمل ولا تعاد
إنه الليل الموشح بالسواد

........................

ما السواد ؟
إنه لونُ الحداد
لونُ جوف القبر
يبتلعُ الأحبَّةَ والصحاب ..
لونُ أطفال المجاعةِ
لونُ أسراب الجراد ..

..............................

ألهذا يفزع القلب المؤرق
حين يغْشاه السواد ؟
أم تراه اللون
أم أثواب أمي .. ؟!!
يا لأمي ..
عاشت العمر كبدر بيننا
يمشي بأثواب الحداد ..!!

- الأصفر :

أول الأصفر في العمر الذبول
إنه لون الحقول
حينما يجتاحها العطشُ المقدر ..

أو يغيض الماءُ
يهرب من أكف الناس
للقاع المبلل بالمنى
لا النهر فاض ..
ولا سماءُ الحقل تمطر .. !!
أول الأصفر في وجه البلاد هي التلال
هي الجبال من اليمين .. من الشمال
تميل تخنق كلّ لون غير لون الاصفرار
لون وجه الناس أصفر
لون ليمون الحدائق
حين يسقط عن عروش الانتظار
لون أسراب الوريقات المضاعة في الخريف
وفي عروق الماء تبحر
لون أوراق الجرائد
والتعابير البغايا
واحتضار الحلم ما بين التشهي والفرار
والفرار من التصحُّر للتصحر
كل شيءٍ في حياة الناس أصفر
إنه اللون المقدر
إنه اللون المقدر

أسيوط ــ ١٩٨٩

## استيقظي

استيقظي ..
فلدي ألفُ رسالةٍ
كُتبتْ إلى عينيك من وجع القرى
ولدي ملتمسٌ من الأطيار ..
فالجند استباحوا حرمة التغريد ..
واقتادوا الحناجر في دروب الصمت
زجّوا بالعصافير البريئة في زوايا الاحتضار ،
وزججوا كلَّ النوافذ ..
كي يظل الحزنُ مختزناً بأضلاع القصيدة .

الجندُ تكرهُ شقشقات البوح
والقضبان تحتجزُ الفضاء ..
ودمي ينام على فراشك ،
والسيوفُ تُطلُّ من فُرجِ النوافذ والسقوف ..

استيقظي
كي تفتحي للطير نافذةً
ليشدو في سمائك لحنهُ ..
وتلمّسي درَّ الدموع
بخد سوسننا الوديعِ ..
وفتحي جفنيك تشرق شمسنا
من غيهب العصر الجليدي البليد

عيناك أول شاطئ للدفءِ
فيه يذوب في شمس الطلوع
بياتُنا الشتويُّ
والوجعُ المقيم ..

عيناك أول شاطئ للفرح
في زمن الفجيعة والبكاء

أنا لست أملك غير أغنيةٍ تردّدُ في دمي
والبومُ تحتلُّ الغصون ..
..............................
أنا لست أملكُ غير إيماني بيوم البعثِ
والشعراءُ حولي بالقيامة يكفرون ..
..................................
استيقظي
أو فابعثي رُسُلا إلى أهل القرى ..
فالجندُ باسمك يبطشون ، ويكذبون .
زعموا بأنَّك قد أبحتِ لهم بساتين القرى،
وعروشَها ،
وحقولَ حنطة يومنا ..
وبأنهم عشاقك المتبتلون ..

وبنور وجهك
يختمون وثائق الفتيا ،
وآيات الجباة ،
والجباةُ يؤمنون ...!!

حجبوا عن العشاق نور شهودك الأسمى
ليهلكنا التشكك والظنون .
لكن نهرك
صاغ من عنف احتدام الماء بين ضلوعه
عقدًا من الفلِّ المطرز بالندى
وأتى إلى العتبات يسألُها الدخول ...
أو المنون ..

..................................

استيقظي
وتكلمي
فالصمت يورثني الجنون ..

أسيوط ـ ١٩٨٩

# درويش الأسيوطي

- درويش حنفي درويش
- ولد في ١٩٤٦/٨/٦ بقرية الهماميّة التابعة لمركز البدارى محافظة أسيوط بمصر.
- تخرج من كلية التجارة جامعة عين شمس وعمل بالتربية والتعليم .
- تزوج عام ١٩٧٨ وله أحمد ومحمد ووسام وآيات ومحمود .
- عاش وتعلم مابين قريته وطما والقاهرة واستقر بمدينة أسيوط .
- مارس العمل السياسي من خلال منظمة الشباب والتنظيم الطليعي ثم تولي أمانة الحزب التاصري بمحافظة أسيوط حتى استقال عام ١٩٩٨ وتفرغ للإبداع.
- شارك في إصدار عدة مطبوعات من أهمها:

  صوت الجماهير – اللقاء – الملتقي – سلسلة الإبداع الثقافي – تواصل – مسارح.
- له بعض الكتابات الصحفية والإبداعية المنشورة في الصحف والدوريات العربية .
- ممثل بفرقة أسيوط القومية المسرحية وحصل علي جائزة الممثل الأول عام ١٩٧١ .
- اعتمد كمخرج مسرحي بالثقافة الجماهيرية عام ١٩٨٤ وأخرج مجموعة من العروض المسرحية معظمها تجريبي.
- عضو اتحاد كتاب مصر رقم ٧٧٦ والعديد من الجمعيات والتجمعات الثقافية.
- عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة .
- حصل علي جائزة الدولة التشجيعية في الشعر ووسام الفنون من الطبقة الأولى ١٩٩٧ .
- نشرت أعماله في معظم المجلات العربية المتخصصة .
- ترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية .
- عني بالترجمة له :
  - معجم البابطين للشعراء العرب .
  - قاموس المسرح الصادر عن هيئة الكتاب المصرية .
  - معجم شعراء الطفولة العرب.

- معجم أدباء مصر في الأقاليم.
- معجم الكتاب ـــ الصادر عن اتحاد الكتاب المصري
- كتاب من أعلام أسيوط إصدار محافظة أسيوط
- موسوعة الشعر العربي
- ذاكرة المسرح الصادر عن هيئة قصور الثقافة
- الموسوعة الشعرية العربية

## الأعمال الشعرية المطبوعة :

| | |
|---|---|
| • أغنية لسيناء | مجموعة شعرية مشتركة-عن هيئة الكتاب عام ١٩٧٥ |
| • الحب في الغربة | شعر بالعامية المصرية على نفقة الشاعر عام ١٩٨٥ . |
| • أغنية رمادية | شعر بالفصحى عن هيئة الكتاب المصرية عام ١٩٨٧ . . |
| • من أسفار القلب | شعر بالفصحى- عن هيئة قصور الثقافة عام ١٩٩٤. |
| • من فصول الزمن الرديء | شعر بالفصحى على نفقته عن مركز الحضارة العربية |
| • أغنيات للصباح | شعر للطفل- عن سلسلة قطر الندى بمصر عام ١٩٩٦ . |
| • بدلا من الصمت | شعر بالفصحى - عن مركز الحضارة العربية عام٢٠٠٠ |
| • بدلا من الصمت | ط٢ - مكتبة أسرة - هيئة الكتاب المصرية . |
| • من أحوال الدرويش العاشق | شعر بالفصحى - هيئة الكتاب المصرية ٢٠٠٣ . |
| • حكاية عن اليمام | شعر للطفل.سلسلة قطر الندى، هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٣ |
| • الاعتراف الأخير | سلسلة أصوات - هيئة قصور الثقافة ٢٠٠٨ |

## تحت الطبع :

| | |
|---|---|
| • منازل الهيام | تحت الطبع باتحاد كتاب مصر |
| • جئت كي أقول | منشور بموقع كتب عربية الألكتروني |
| • أغنيات للصباح الجميل | شعر للطفل [ الجزء الثاني ]. تحت الطبع |
| • حكايات شعرية للأطفال | تحت الطبع |
| • جمر الكلام | بالعامية - تحت الطبع |
| • أغنيات درامية | بالعامية - تحت الطبع |
| • رسالة إلى شهيد | بالعامية - تحت الطبع |

## الفهرس

شركة الأمل للطباعة والنشر
( مورافيتلى سابقاً )
ت: 23904096 - 23952496

# الأعمال الكاملة

فمعذرة ..

شطوطُ الحلم في عينيَّ مُقْفرةٌ ومُحْتلّة

وكلُّ مواسمي عطشٌ،

وكلُّ الأرض مُوحلةٌ،

وكلُّ ملابسي مزق، ومُبْتلّة.

ويقتلني امتدادُ الليلِ في دربْي

ظلامُ الليلِ لا يُخْفي معرَّتنَا

ولا تكفي مرارتَنا بحارُ الشَّهْدِ و السُّكرْ،

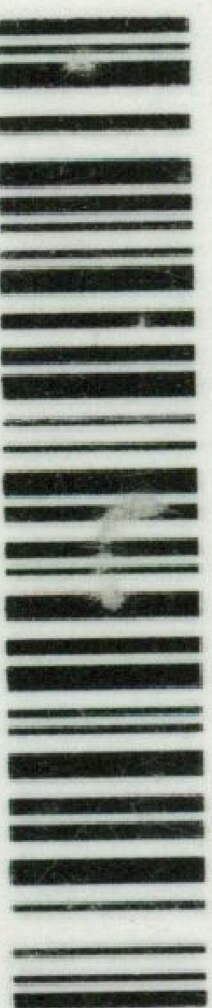
فيهربُ مِنْ فمي شِعْري

عن العنَّاب والمرْمر

عنِ الأقمارِ والبلَّوْرِ والعَنْبَرْ

ويبقى في فمي

مِلْحُ انتظارِ الصبْحِ والذِّلَّة






تصميم الغلاف: أحمد اللباد




السعر: ٥ جنيهات